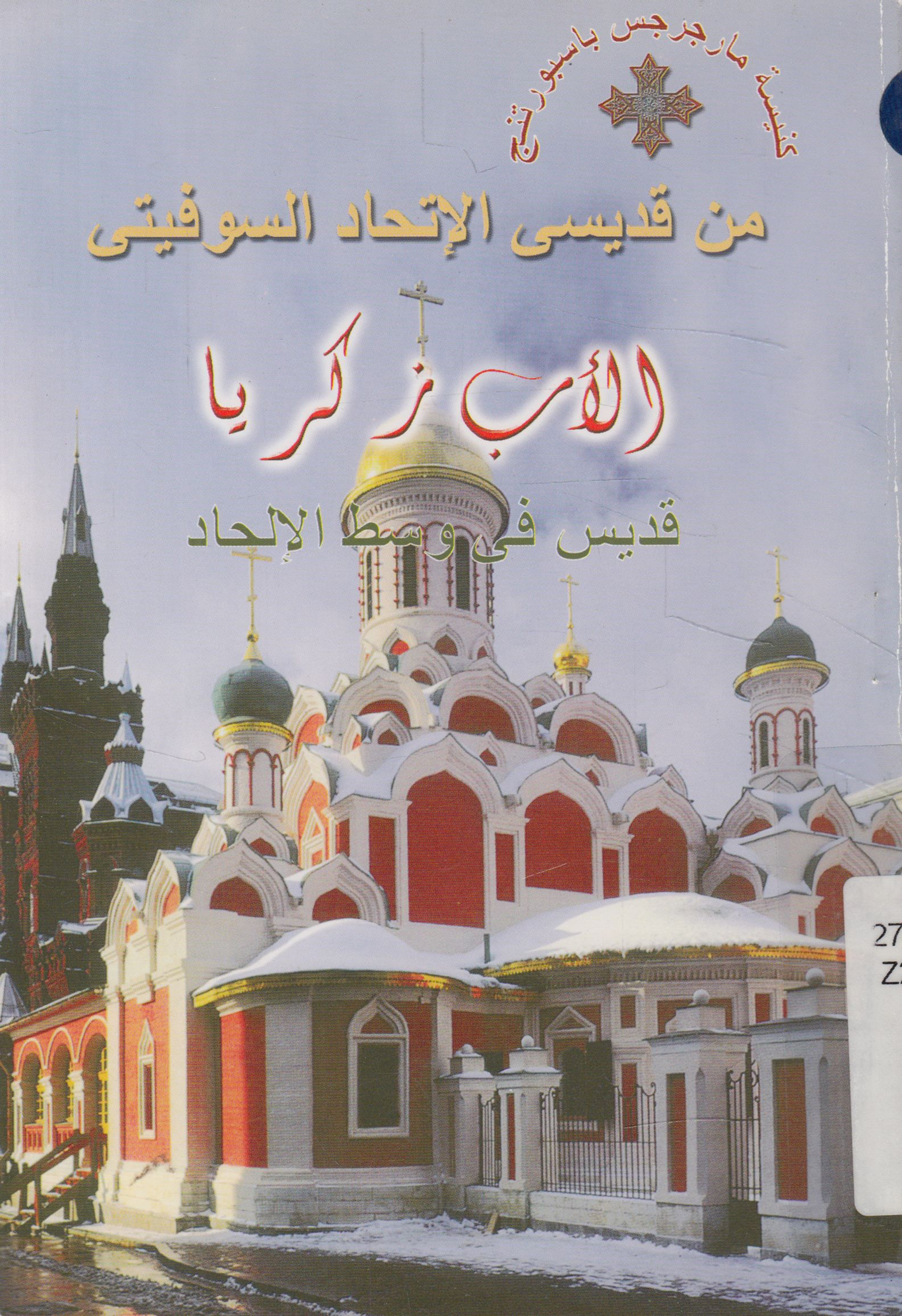

كنيسة مارجرجس باسبورتنج
من قديسى الإتحاد السوفيتى
الأب زكريا
قديس فى وسط الإلحاد

من قديسى الإتحاد السوفيتى

الأب زكريا

قديس فى وسط الإلحاد

كنيسة مارجرجس باسبورتنج

اسـم الكتـاب : **الاب زكريا ـ قديس وسط الإلحاد**

الناشـــــــر : كنيسة مارجرجس ـ سبورتنج ـ الإسكندرية .

المطبعـــــة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط .

رقـم الإيـداع : ٣٤٢٦ / ٩٩

الترقيم الـدولي : I. S. B. N. : 977 - 5005 - 24 - 8



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

المقدمة

بقلم : سير چون لورانس

ولد الأب زكريا سنة -١٨٥٠م وهو ابن لأحد الفلاحين ولم يتلقَ أى تعليم فى أى مدرسة ومات سنة ١٩٣٦م فى بداية ما يُعرف باسم « الفزع العظيم » "great terror" يصف النصف الأول من الكتاب سرداً لحياته إبان الحكم القيصرى والنصف الثانى يتكلم عن حياته أثناء الحكم الشيوعى . وفى الكتاب بعض الإشارات العابرة عندما أغلق الدير حيث بقى الأب زكريا لبعض الوقت .

وليس هناك شك أن الكثيرين من الذين تكلموا عن هذا القديس بعد عشرين سنة وعن بعض الرهبان الآخرين الذى اختبأوا فى الحصون « الحوائط المحصنة » كان لديهم الكثير من الذكريات معهم ليرووها لنا . وفى نهاية الأمر أُجبر الأب زكريا على الذهاب الى موسكو ونستطيع أن نفهم ما حدث لهم دون ذكر تفاصيل . فقد كان من ضمن المطلوبين القبض عليهم من حملة « الفزع العظيم » "great terror" وهرب منهم – لا بسبب خوفه– لأنه كان على فراش المرض . ولم تتغيّر حياة الراهب المكرس بعد أن أُجبر على مغادرة الدير بل ظل شاكراً للّه على كل حال حتى على الضيقة والشر اللذان أصاباه سواء إبان حكم القياصرة أو الشيوعيين وظل يرعى أبناءه الروحيين غير مبالٍ بظروف معيشته الصعبة . ولم يتولى منصباً فى الكنسية أو أى درجة كهنوتية بل كانْ مجرد راهب معروف بالاستارتس (أوالشيخ) والستارتس يشبه المتوحد فى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية . والستارتس هو مجرر راهب لا يحمل درجة كهنوتية ولكنه يتمتع بشخصية كاريزيمانيه قادرة على

جذب الناس الى الله وينال الكثير من الاحترام والتوقير ومشهود له من جماعة المؤمنين .

فى الأيام السابقة للثورة الشيوعية ، كان الناس من مختلف الطبقات من الشعب الروسى يسافرون عبر روسيا ليستشيروا الستارتس المشهور أو حتى كى يروه فقط . وتكشف لنا سيرة حياة الأب زكريا كيف كان يباشر عمله تحت الحكم السوفيتى . وعندما سيم زكريا وكعادة الرهبان أخذ اسم زوسيما كإسم جديد له وقد تدرج فى مراتب أعلى فى الحياة النسكية وأصبح اسكيميك « لابس الاسكيم » وتسمى باسم زكريا مرة أخرى وكأن هذا القديس قد أتى من العصور الوسطى إذ تروى قصة حياته أنه كان لديه القدرة على المعجزات التى عجز على استيعابها العقل .

الطفولة والدعوة

(نشأته)

ولد الشيخ زكريا فى الثانى من سبتمبر سنة ١٨٥٠ ، وعند عماده سُمى باسم زكريا تبركًا باسم (زكريا والد يوحنا المعمدان) . أما الوالدان فكانا يعملان بالفلاحة . وقد كانا من أوائل العبيد لعائلة ناريشين Naryshin . وقد عاشا عيشة رغدة وقد تحرّرا من العبودية كما كان معروف فى تلك الأيام .

لقد عاشا في مقاطعة كالوجا (kaluga) وكان لهما إحدا عشر ابناً و زكريا أصغرهم سناً . وقد توفى أغلب اخوته بعد فترة . لقد ولد زكريا فى الحقل حيث كانت تعمل والدته حتى أخر لحظة قبل ولادته . فقد ذهبت الى الحقل كى تبذر بذور نبات يصنع منه الملابس الناعمة . عندما ذهبت الى الحقل كانت بمفردها ولما جاء وقت الولادة ، وبدون أى مساعدة خارجية أضافت الى العالم مولوداً جديداً ، وكان الجو بارداً فوضعته أمه فى إزارها حيث لم يكن لديها شيء تدفئه به ثم ذهبت الى المنزل . أما والد زكريا ايفان كان مؤمناً وكان يذهب الى الكنيسة باستمرار ويصلى . وقد كان يعتنى بالأرض بكل حرص ومهارة ويتاجر فى التفاح والحبوب . لقد كان عنده عيب كبير انه كان يسرف فى الشراب وعندما يسكر فإنه يعامل امرأته معاملة سيئة رغم انه فى أحواله العادية يكون رقيقاً فى معاملاته العادية .

وفي إحدى المرات التى سكر فيها ، قال لإبنه الصغير سوف أحضر لكم بعض الهدايا ، فأجابه ابنه الذى لم يتجاوز الإحدى عشر سنة انه لا يوجد حاجة لهذا ، يكفى أن تكون فى سكرك . وقد تدرب هذا الطفل

منذ طفولته أن يتخلص من كل شيء قبيح ، فأجابت والدته هل هذا هو الأسلوب الذى تجاوب به أبيك ؟. ومن الجدير بالذكر ، أن أم زكريا عاشت حياة القديسين وكانت تساعد كل شخص وتحب الناس جميعًا، كانت تعطى كل معيشتها للفقراء من خبز ولحم وأشياء أخرى من هذا القبيل ، لم تكن تحمل ضغينة لأحد . وقد حباها الله بالحكمة فكانت لا تبخل بالنصيحة لمن يطلبها منها ، حتى فى مواضيع الزواج لم يكن أحد يقبل عليها إلا بعد مشورتها ، مما أعطاها منزلة عالية بين القرويين وسلطان.

وفى تربية الطفل كانت تغرس فيه حب العطاء ومساعدة الفقراء ، وكانت تعلمه المثابرة الى أقصى درجة ممكنة . فبعد أن ينتهى من اللعب مع أقرانه كان يشعر بالجوع ، فكانت أمه تعطيه سلة كبيرة مملوءة بالطعام وكانت تقول له أولاً اعطى طعامًا لأصدقائك ثم كل أنت بعد ذلك ، فكانت توجيهات أمه القديسة يحفظها فى قلبه العطوف الرقيق ، ولما كان أبوه يخرج للتجارة كان يصحب زكريا معه فقد كان يعطى كل ما معه للفقراء مجانًا ، وكان يتعامل مع المشترين بكرم زائد .

لقد أحب الأطفال زكريا وأطلقوا عليه لقب الكاهن ، واعتاد أصدقائه أن يقولوا له سوف نبنى كنيسة فى الحقل ونجعلك كاهنًا عليها وسوف تقوم بعمل مراسم الزواج لنا.

ولما بلغ السابعة من عمره لم يعد المنزل مكانه المفضل بل كان يفضل الاختلاء فى الحقول والغابات لعدة أيام وعندما تخلد أمه الى النوم كان يقوم بالليل بهدوء ويذهب قبل أن يكتشفه أحد الى أى مكان مسافة صغيرة ويتسلق الأشجار الطويلة ويجلس فى عزلة يصلى ويفكّر عن اللّه وكان يقضى الليل بأكمله ساهراً . ولقد كان

يعرف جيداً كيف يسلك فى عزلته بالأعمال الروحية وكان طعامه من الحشائش وكان قلبه يفيض بالحب المقدس ، والغيرة فى الرب . وعندما يبدأ النهار فى المغيب كان ينزل من الشجرة بعض الوقت ثم يصعد بعد ذلك حينما يتأكد أنه لا يوجد أى أحد يلاحظه . وبالطبع كانت والدته خائفة جداً عليه ، وكانت تبحث عنه فى كل مكان وتبكى متأسفة على اختفاء ابنها الحبيب بهذه الصورة .

وأخيراً قررت أن تذهب الى قسيس القرية لتتحدث معه بشأنه ولتأخذ منه نصيحته . وقد كان الكاهن الذى يبلغ من العمر مائة سنة يشفى المرضى ويخرج الأرواح الشريرة . ولفرط اتضاعه فقد وهبه اللّه نعمة معرفة الأمور المستقبلية فأخذت الأم ابنها وذهبت الى الكاهن قائلة: يا أبى ليس لى سوى هذا الطفل فقد دفنت خمسة من قبله ، وهذا الكتكوت لن يعيش بعد ، فهو يبعد عن البيت لأيام مفضلاً عيشة الغابات . صلى الأب ألكس فكشف له اللّه عن مستقبل زكريا فأجاب أمه قائلاً : لا تبكى ان ابنك سوف يجعلك سعيدة ولكنه لن يكون أب أو عائل لأسرة بل بالسلوك فى السيرة الرهبانية ويكملها بشيخوخة حسنة . ولما بلغ زكريا السادسة عشرة من عمره أرسل الى المدينة ليعمل فى جدل وضفر السلال حيث أنه لم يحظ بالتعليم على الإطلاق وبعد رحيله لازمت أمه الفراش . ولما شعرت بدنو أجلها باركت كل من حولها وقالت لابنتها ماريا لقد ودّعت كل من أعرف ولكن يوجد زخارياس فقط لم أباركه عندما أباركه سوف أموت اننى أصلى الى اللّه كى لا أموت قبل أن أراه فاذهبى وابحثى عنه . فذهب معارفها الى زخارياس وأتوا به ليلاً

حيث ترقد الأم فقالت الإبنة : هل تعلمين يا ماما من هنا ؟ فانفجر الابن فى البكاء وهذا هو السبب الذى جعله يعيد حساباته بعد توديع أمه التى رآها وهى تموت أمامه .

وفى الصباح ذهبت ماريا وأنيسيا الى القرية فقالت الأم لابنها اجلس هنا وإسمع لى يا عزيزى زكريا سوف يقابلك الكثير من الاغراءات للزواج فأمامك الكثير ممن يصلحون لذلك ولكنك سوف لا تتزوج لا من القرية ولا من المدينة وذكرت له أسماء من سوف يقابلهم ، ولكن تذكر عندما تدخل الدير سوف أكون سعيدة ولكن والدك سوف يدفعك للزواج فلا تسمع له . ان الأب ألكس قال أنك سوف تكون راهبًا ثم أخذت أيقونة لسيدتنا والتى هى شفيعة لمدينة كازان والتى اشترتها عندما كان زكريا فى الثامنة من عمره وأعطته إياها قائلة له : هذه شفيعتك ومرشدتك والدة الإله ثم أمرت بناتها بعد أن رجعوا أن يوقدوا الفرن ويصنعوا وجبة لابنها المحبوب ثم يأخذوه مرة أخرى الى المدينة وأخذت أمه تواسيه وتعزيه قائلة لا تبكى يا ابنى زكريا لا تبكى لا أريد أن تجهد عينيك بالبكاء لا أريد لهاتين الزرقاوتين أن تتحولا الى الحمرة اذهب ولا ترجع عاجلاً . لأن والدك سوف يأتى ويطلب منك الرجوع ولكن ارجع كما كنت ولعملك وعندما أموت سوف تعود الى عزلتك وستصلى بعمق ولكن لا تأتى الى قبرى . ولطاعة أمه استودعهم الله ثم ذهب . **وفى نفس اللحظة التى رحلت فيها والدته تاتيانا مينا ايفنا شعر زكريا برائحة بخور زكية تحيط به ، فقال لقد ماتت والدتى ثم انفجر فى البكاء . وفى الصباح أتى اليه بعضهم وأخبروه كيف ان والدته ماتت وهى فى هدوء وسلام ، كانت لا تريد أن ترى الشياطين وأخبرت ابنتها بأن تصلى من أجل ذلك وأن تعكف بجانبها والا سوف تخاف من**

الشياطين ولكن ابنتها كانت أكثر خوفًا فذهبت بعيداً . ثم رسمت علامة الصليب علي الوسادة ثم علي نفسها ثم أسلمت الروح .

لقد توفيت تاتيانا مينا ايفنا فى ٣١ أكتوبر أما زكريا الكبير فاعتاد القول من يذكر والدته فإن الله سوف يذكره أيضًا . وفى يوم الأربعين أسرع زكريا بالعودة الى المنزل ولم يكن عنده ملابس للتدفئة وانطلق الى رحلة بدون ملابس كافية فكان عليه أن يسير خمسة أميال تقريبًا حيث توجد غابة قاسية البرودة ورياح قوية فأمضى ٣ أو ٤ ساعات نائمًا إلا أنه فجأة سمع صوت ذو بهاء يكلمه بحزم : قم يجب أن تذهب ولم يكن المتحدث إلا ملاكه الحارس وعندما استيقظ زكريا تحقق من خطورة وضعه . فقام وذهب وشعر بالحر كما لو أن أحداً سلط عليه مصدر حرارى أو كما لو كان في فصل الصيف. لقد كانت معجزة من الله الرحوم أن زكريا لم يتجمد في مثل هذا الجليد القاسى وخاصة أنه نام فترة طويلة .

بعد وفاة والدته حلت بزكريا الاغراءات كما تنبأت من قبل والدته فابتدأ الناس يقترحون عليه الزواج من بعض الفتيات ولكنه ظل رافضاً وظل موقفه ثابتاً فى موضوع الزواج . وأخيراً وبأمر من أبيه أُخذ زكريا الى مكان آخر كى يختار له زوجة .

زكريا أصبح نحيف الجسم جداً وفي أحد أيام الصيام جاء الى منزل أخته فلاحظت عليه ذلك فقالت له : لماذا تضعف نفسك بالصيام الى هذه الدرجة انك أصبحت نحيفًا بدرجة مخيفة فأجابها أخوها : اننى الآن فى العشرين من عمرى وأُعد نفسى للزواج لذلك فأنا آكل مرة واحدة فى اليوم . وأبى قد أصرّ أن أتزوج قريباً . ولمدة ثلاث سنين وأنا أطلب من أبى أن أذهب الى الدير ولكنه لم يوافق والآن أنا أحلم بالزواج لذلك فأنا أستعد له . ان أخت زكريا ماريا والتى

تكبره فى السن امرأة متزوجة . وقد ألهمها اللّه أن تقول له يجب أن تذهب يا أخى بأى طريقة ان كل هذا هو من تجارب العدو التى شنها عليك . هذه الليلة يا زكريا سوف يتقرر مصيرك . فعندما تذهب الى فراشك ارشم الصليب عليه وعلى رأسك وقدمك وفوق وأسفل وفى كل الاتجاهات وسوف ترى ما يحدث . وقد فعل زكريا ما قالته له أخته وذهب لينام فى سلام فرأى حلماً... رأى امرأة تتشح بغلالة بيضاء كالثلج تأتى الى حجرته ثم انحنت ثلاثة انحناءات للأيقونات ثم التفتت الى زكريا قائلة له : يا زكريا ما الذى جعلك تفكر فى الزواج ؟ انك سوف تكون راهبًا ان والدتك قد منحتك البركة فإذهب الى دير (three streams) الموجود فى (white shores) . ولم يكن أبيك موافقًا ولكنه الآن سوف يدعك تذهب وفى الحال تحقق زكريا من أنها الحافظة للعائلة المسيحية كلية الطهر العذراء كل حين والدة الإله .

لقد غمر هذا الحلم زكريا بالشعور بالبهجة والسلام والفرح والسعادة فانتعشت روحه كما لو انه قد عوفى من مرض داخلى أو نفسى وحدث له الشفاء الكامل . وفى الصباح وفى عيد القديس لعازر خاطب زكريا والده قائلاً : دعنى أذهب الى (white shores) الى والدة الإله الموجودة فى (three streams) إن والدتى قد أوصتنى بذلك ولم يكن لدى وقت لأفى بهذا العهد وقد قررت أن أفى نذورى . لقد لجأ زكريا الى هذه الحيلة . وقد صدّقه والده وأجابه هذا حسناً ولم لا ، اذهب الآن لأنه ليس ذلك ما تفعله هنا وعندما تعود سوف تتزوج .

زكريا أخذ معه أيقونة والدة الإله التى أعطتها له أمه وهى تباركه ثم لفها فى منشفة ووضعها فى حقيبته ثم التفت الى والده وقال له

والآن باركني أنت أيضاً يا أبي . فقال له والده : تكفيك البركة التي قد أخذتها من والدتك وأنت أيضًا سوف تبارك ابناءك وأخذ أبوه أيقونة قيامة المسيح ليبارك ابنه وباركه ثم أخذ يبكي بشدة ثم سقط على الأرض .

فأمسك زكريا بالأيقونة حتى لا تسقط وعاد أبيه وقال انني أشعر إنك سوف تتخلى عني كليًا . وهذا مما جعل زكريا يشعر بالأسف على والده وبسرعة ودع أبيه قائلاً : ليت بركتك تظل في البيت الى حيث عودتي . ثم قال وداعاً وجرى خلال الحقول والغابات بأقصى ما يستطيع . وقد كان زكريا يخشى أن يغيّر والده رأيه ويضغط عليه . وأخيراً وصل الى دير (white shores) . ثم بدأ يترجى المسئولين أن يقبلوه كأخ في الدير كطالب رهبنة ولكنهم لم يقبلوه .

وفي الخامس عشرمن يونيو توسل زكريا بدموع . أخيراً وافقوا أن يجعلوه لفترة اختبار وانضم الى القطيع ، ولكن قبل أن يبدأ العمل أرسله الدير الى المنزل ليحضر أوراقه الرسمية . والأكثر من ذلك أمره أن يذهب الى دير (optina) قائلاً له اذهب الى الأب امبروس(improse) وافعل ما يمليه عليك (مايقوله لك) . زكريا كان خائفًا من الذهاب الى دير (optina) . وإذ أعجبته فكرة عن الذهاب الى هناك بفرض أنه إذا لم يحظ ببركة أن يكون راهباً فعساه أن يفعل ؟ ولكن كان عليه أن يطيع ، لأن الطاعة هي عدم طاعة الشرير ، أخذ زكريا شنطه ، ورحل واتخذ طريقة عبر الغابة ورأى **هناك كنيسة صغيرة من الخشب ووجد هناك امرأة ذات إكرام وشرف رافعة يديها ومستغرقة في صلاة عميقة كمثل والدة الإله الموجودة بالأيقونة انها العلامة . اختبأ زكريا خلف شجرة حتى لا يزعجها . أخيراً أتمت صلاتها ثم ومضت وتلألأت وسألت زكريا لماذا لا تكون معنا**

فـى ديـر (three streams). سـوف يسـمـحـوا لك بأن تتـوحـد ؟ سـوف يقـبلونك بعـد كـثـيـر من المحـاولات . والآن هل أنت ذاهب لتـحـضـر مستنداتك ؟ علي أى الحالات اتبعنى. فخضع زكريا في الحال لكلمات هذه المرأة المجهولة وتبعها . أثناء سيرهما قالت له بحزم وسلطان اذهب الى (optina) وامكث مع الأب امبروس ودعه يباركك ولكن قبل أن تذهب اليـه اذهب حـيث يوجـد جـسـد لابس الاسكيم القـديس مكاريوس الكبـيـر وصلى له (قـديس روسى) وقل ينيح الرب نفس رئيس المتـوحـدين لابس الاسكيم القـديس مكاريوس مع الأبرار القـديسين ، لقد كان قديسًا .

لقد سارا معًا وابتعدا ثم ابتعدا ثم قالت له لقد كان لى ابن وحيد ولكن الناس الأشرار أخذوه ثم قتلوه . ثم سارا ميلين دون كلام ثم توقفت المرأة وقـالت اننى سـوف أذهب الى القـريـة وأتمنى لك رحلة آمنة . زور جـسـد القـديس مكاريوس الكبـيـر وتكلم مع امبـروس الكبـيـر وسـوف يعطيك بـركـة دخـول الدير وبعـد أن تمت هذه الكلمـات اختـفت المرأة الغامضة . دهش زكريا لاختـفائها ونظر يمينًا ويسارًا ولأعلى .. وتساءل الى أين تكون قد ذهبت ليس هناك مكان توجد فيه « يا الهى من تكون هذه المرأة ؟ أخذ يفكر ويستعيد كلماتها ثم فهم كل شىء . بالتأكيد هى والدة الإله فتـهلل وسـبّح الله وسـأل نفسـه أين أكون أنا الآن اننى أسـيـر وأسير ولكن لا أعرف أين أنا .

وفى اليـوم التـالى وصل زكـريا الى (optina) حـيث يوجـد الدير . وأول شـىء فـعلـه انطلق حــيث يوجـد جـسـد القـديس مـكاريـوس الكبير .

أحب زكـريا كل شـىء فى (optina) . الهدوء المقـدس وروح الصـلاة لما فيها من عـمق ورسـوخ وصـفاء وبصـورة طبيـعية . مكث زكريا فى مكان للضـيافـة حيث سـمح له بالمكوث لفتـرة محـدودة وفى كل يوم

كان يحاول الاتصال بالعظيم امبروس الكبير ولكنه لم ينجح على الاطلاق . زحام عظيم حول قلاية الراهب امبروس ولا توجد امكانية المقابلة لكل منهم . قام زكريا بكل خدمات الكنيسة بجدية كاملة وزار قلاية ايلاريون الكبير والمعروف بكشفه الروحى « ومعرفة للأمور المستقبلية» .

فى آخر يوم مكث فى المضيفة شاعراً بالحزن لأنه سوف يترك (optina) دون أن يرى الأب امبروس . ثم عاد الى المضيفة ليخدم ويرحل فأخرج أيقونة والدة الإله التى ورثهاعن والدته ونظر الى أطهر وجه وانفجر فى الدموع قائلاً : يا والدة الإله هى أنت لم تأتِ بى الى هنا ورافقتينى ؟ ألم يكن أنت التى قلت لى إننى سوف أزرو الأب امبروس والآن سوف أرحل ولم أحظ برؤياه وفاضت دموعه على الأيقونة ونزلت على الأرض كمثل المطر . وفجأة ظهرت والدة الإله خارجة من الأيقونة عذراء بتول بجمال لا يوصف ونظرت الى زكريا وقالت اتبعنى وانطلقت بسرعة حتى بالكاد أن زكريا لحق بها وفى الطريق التقى بالأب بيمن الذى عاش حياة صارمة ولم يسمح لأحد بالاقتراب منه . فأشارت بيديها على زكريا وقالت بارك زكريا . فباركه فى الحال وأخيراً وقف خلف سياج لقد كان من الواضح أن والدة الإله قادته الى حيث يوجد الأب امبروس وتوقفت عند الأبواب المقدسة وقالت غير مسموح للنساء بالدخول هنا ولكن ادخل أنت الآن الى الأب امبروس فهو سوف يستقبلك ثم اختفى المرشد المقدس . أحس زكريا بالشجاعة ثم تقدم فى اتجاه المكان المخصص للأب امبروس فخرج الأب الى الممر المؤدى الى الباب ونادى على زكريا كى يدخل واستقبله كما لوكان منتظراً حضوره منذ فترة طويلة ثم قاده الى المحبسة وأجلسه على كرسى صغير ثم تكلم معه حديث خاص هادئ من القلب الى القلب . كل حياة زكريا كانت مكشوفة

أمام الأب الكبير . فقبل أن يفتح الصغير فمه كان الأب الكبير يتكلم : حسنًا الآن يا عزيزى هل ماتت والدتك استمع لى تخلى عن عروستك لا تتزوج ادخل الدير لا تفكر فى أبيك الآن سوف يدعك تذهب بنفسك سوف لا يعيقك ولا يؤخر قصّدك كى تصبح راهبًا. لقد صنعت حسنًا بقدومك هنا .

سوف ترى على الحائط مكتوب أربعة خطايا اقترفتهم قدم توبة عنهم اذهب جنوبًا الى (white shores) وأعد نفسك بالصوم . هذا بالحقيقة تعاليم بنّاءة وضرورية للروح التى صرح بها الشيخ العظيم . ثم باركه وودّعه ليذهب ، فأخذ زكريا الحقيبة ثم انطلق لرحلة العودة . فكر أنه أولاً سوف يعود الى (white shores) ويعد نفسه للصوم كما أرشده الأب امبروس. حقيقيًا أننى أشعر بتأنيب الضمير لهذه الأربع خطايا كيف علم بهم ؟ ثم أذهب عند أبى كى أخذ المستندات ثم أعود الى المدينة حتى أقيم اقامة دائمة . بعد وصوله الى الدير بدأ صومه ثم شعر بتعب خطير حتى أنه حمل الى المستشفى فى (bryansk) وقد أخبر أبيه أن ابنه قد اقترب من الموت ولم يأخذ الدواء الذى قدم اليه ولكنه قام يصلى وهو متعبًا متشفعًا بوالدة الإله . وأخيراً رفض الأطباء علاجه وكتبوا الى (white shores) ان ولدكم يموت منذ ثلاثة أشهر وهذه المستشفى ليست ملجأ ولكنه رفض أن يعالج وقال : اننى لا أعتقد فى دواءكم ، ان والدة الإله سوف تأتى وتشفينى . ما نوع مثل هذه الأحاديث ؟ ما نوع هذه الأحاديث ؟ انه مريض جداً وسوف يموت بالتأكيد ولكن بسبب شخصيته هذه نحن لانستطيع أن نساعده لذلك نحن نرجوكم أن تأخذوه . فكان ردهم نحن لا نريد مثل هذا المبتدئ لقد شطبناه من الدير ولم يعد ينتسب اليه . فأخذ زكريا يتضرع الى والدة الإله

قائلاً : أيتها الملكة الحقيقية الوحيدة التى أحتمى بها ساعدينى اشفينى . ثم حلم أن كلية الطهر ودائمة البتولية قد أتت اليه لمست رأسه بيديها وقالت سوف تعيش ، سوف تكون راهباً وسوف تعيش معنا ثم بدأت العذراء فى المغيب . وقبل أن تختفى انفتحت السياج وانزلقت عبر الحديقة الرائعة ثم انزلقت السياج مرة أخرى وفجأة سعى زكريا برغبة قوية أن يذهب ويطير ويتبع العذراء وفى لحظة تحول الى نحلة وتبعها ثم وجد نفسه وقد وصل الى السياج وقد تحول الى عصفور فى الحديقة وجد العذراء وحولها حشد من الملائكة فى كوكبة من الألوان فى جميع الاتجاهات وسمع صوت يقول لا يستطيع أحد الدخول هنا إلا ما تقبله سيدتنا . الملائكة فى ألوانها الرائعة فى ملابس سماوية وكانوا يزرعون أشجاراً وفجأة سمع زكريا ملكة السماء تقول ازرعوا شجرة باسمه أيضًا . وبمجرد أن قالت سيدتنا هذه الكلمات قالت الملائكة فى أنفسهم لقد أصبح له نصيب أن يكون معنا . زكريا كان سعيداً جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يتكلم ، ثم انطلق عبر السياج داخلاً الى الحديقة متخذاً جسد عصفور ثم مكث هناك .

هذا الحلم أعطى زكريا قوى هائلة لتعين هذا المبتدئ الصغير المريض . ثم استغرق فى تفكير عميق .

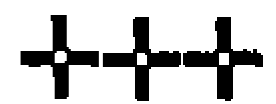
وفى خلال الليلة رأى حلماً أخر . ان الأب اسحق الذى شاهده فى (white shores) بدأ يظهر له قائلاً : لقد أمضيت الكثير فى الفراش يكفيك هذا . ثم . فى الصباح لدهشة الجميع قام من النوم صحيحاً تماماً . وفى المدينة تناول كوب شاى لأول مرة منذ مرضه . ثم ذهب الى الدير واستقبلوه هناك بصورة سيئة (غير ودية) ولكن على كل حال سمح له بالبقاء . لقد مكث هناك منذ عام ١٨٧٠ – ١٨٧١

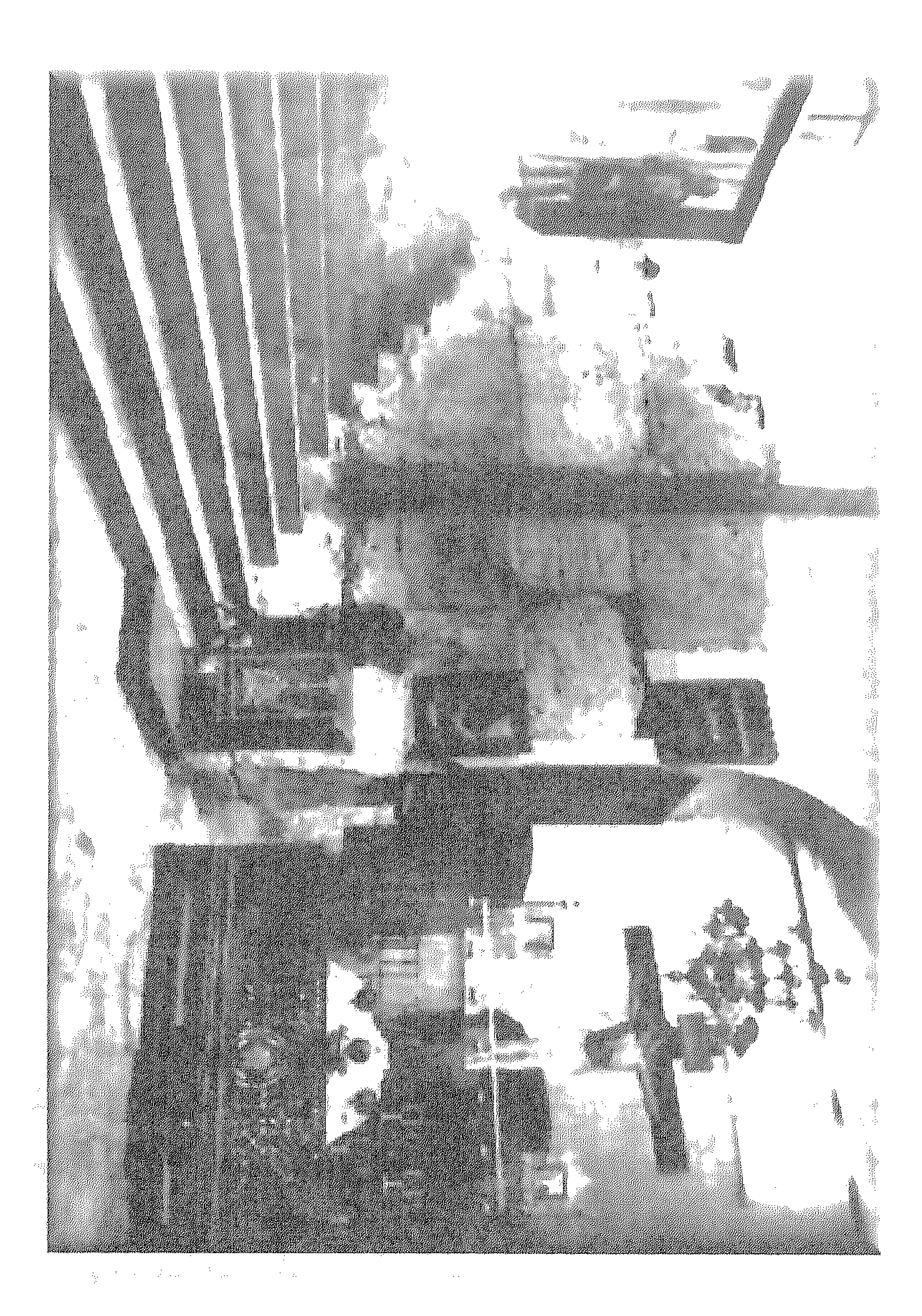
وبعدها لم يستعيد صحته . ومع هذا رجع الى مسئولياته .

لقد كان يرعى قطيعًا من البقر ودهان المنازل وأسطح الكنائس . لقد حاول الرئيس الأب چوزيف بكل طرقه أن يجعل زكريا يعود الى منزله ولكن لم يفلح ، ولكن ترجاه زكريا بالمكوث فى الدير .ثم ظهر له الأب اسرائيل مرة أخرى فى حلم وقال له : لا تعاند الأب چوزيف ارجع الى المنزل مع أبيك فأطاع زكريا .

ولما عاد الى موطنه مع أبيه آوى الى الفراش ومكث فى الفراش شهرين آخرين ولم يأكل طعامًا على الاطلاق ولكنه كان يطلب من أبيه يطبخ له بعض الحشائش ويتناول حسائها . ولما شفى زكريا طلب من والده أن يذهب الى الغابة لفترة مع أحد النساك وهو دانيال الكبير فى منطقة kalaya وأخبره بأنه سوف يكون خادماً له وسوف أمدك أنا بالمؤن وما نحتاج اليه .

الآن بدا ان الأب فهم دعوة ابنه للرهبنة ولم يعترض على حياته النسكية . فى الحقيقة ان والده يريده أن يعيش فى الصحراء مع الأب دانيال الكبير حتى يستريح ويستعيد صحته قبل أن يلتحق بالدير .





الفصل الثانى

وصل زكـريا الى دير الثـالوث الأقـدس واندهش لرؤيتـه نفس الأبواب والأيقونات التى شاهدها فى الحلم . لم يكن زكريا يعرف أى شخص فى هذا الدير وجلس فى بيت الضيافة (القصر) وهنا عنده فرصـة أن يتـعلم مـن الحـديث الدائر والمقـابلات بين الزوار والأب برنباس فى صومـعة جثسمانى وفى كل يوم يتزاحم الزوار حول الصومعة التى يقصدوا منها كل حسب احتياجه .

لقد نصحوا زكريا أن يذهب الى الأب برنباس ليأخذ بنصيحته ويتبارك منه . فأسرع المبتدئ الصغير وذهب ورأى هناك حشد من الزوار لا يمكن عدّه وكانوا يزدحمون يريدون رؤية الرجل الكبير ولا يوجد امكانية الوصول اليه.

ولكن حدث أن الأب برناباس خرج وقال محدثاً الجمع : إذا كان هناك أى راهب من الدير موجود فيأتِ . ولكن لم يجبه أحد . ثم نزل الى الدرج (السلم) وقال : تعالى الى هناك ثم أمسك بيدىّ الراهب المبتدئ وقال له بود ومحبة تعال الى قلايتى فأجابه أننى لست راهباً فى هذا الدير اننى من (white shores) فرد عليه الأب اننى أعرف انك اعتـدت أن تعيش هناك ولكن الآن سوف تعيش فى هذا الدير وتصبح راهباً هنا . ثم قاد زكريا الذى انتابه سرور مفرط الى قلايته

ثم قال الرجل الكبير لزكريا : عيش هنا مع القديس سرجيوس وسوف تأتى لترانى فى صومعة جثسيمانى ثم قال زكريا : بفرض انهم لم يقبلونى هنا ماذا أفعل ؟ فأجاب الأب: سوف يقبلوك . اذهب عند أبواب الدير سوف تجد ثلاثة من المسئولين فى الدير ينتظروك هناك . وبعد أن أكمل زكريا زيارته للأب الكبير ذهب حيث أبواب الدير ووجد رئيس الدير واثنين من الاخوة المتقدمين فى الدير (المسئولين) واقفين معه هناك . فطلب منهم زكريا أن يقبلوه كى يعيش معهم فى الدير . فقبلوه بكل ارتياح وأصبح زكريا راهباً فى الدير . وهكذا شاءت عناية اللّه أن تحقق مشيئتها فى دعوة زكريا .

قال رئيس المتوحدين لزكريا : يجب على الانسان أن يعرف كيف يميّز الأحلام . فالأحلام التى من عند الله تعطى هدوء النفس وتبعث الفرح وتوقد حرارة التوبة فى القلب كى تحطم أفكار البر الذاتى (العظمة والكبرياء) وتوقظ عزيمة الانسان لقتال شرس ضد الخطية . وهذه الحقيقة تنطبق كمثال على حلم زكريا عن الالتحاق بالدير . لقد كانت حقيقة أكدت بعبارة الأب دانيال الكبير ومباركته لزكريا فى قوله له : اذهب الآن بسرعة الى دير القديس سرجيوس (St. sergius) مع أن الأب دانيال لم يكن على علم بحلم زكريا . لذلك تكون مشيئة الله على زكريا قد أعلنت (كشفت) للأب دانيال فى نفس الوقت كما لزكريا. والآن فى هذا الدير الله يعود فيؤكد مشيئته عن طريق الكلام الذى صرح به الأب برناباس الذى دعا زكريا فى الدير وبارك عليه الدير . ولكن لما الشك تطرق (زحف) الى عقل زكريا فى أنه من الممكن أن يرفض قال له الأب برنابا مستخدماً سرعة البديهة التى وهبها اللّه إياها : اذهب الى الأبواب فهناك ثلاثة من المسئولين فى انتظارك . فالثقة التى تكلم بها بهذه الكلمات ووجود ثلاثة من المسئولين فى الانتظار على

الأبواب كما أن ترحيبهم بقبول زكريا فى عداد الأخوة فى دير الثالوث الأقدس واضح كوضوح النهار فى اعلان مشيئة وعناية اللّه فى بقاء زكريا فى هذا المكان .

ثم بدأ جهاد زكريا منذ اليوم الأول من دخوله الى الدير كما لو ان دخوله الدير لحمل الصليب . فلم يجد أى تعاطف أو ود من الأخوة الرهبان ولم يتخذ له أصدقاء من أى أحد فيهم . أحب زكريا الصلاة واستخدم مسبحة فى ذلك ولكن المسبحة أُخذت منه وقالوا له أنت لم تقدم نذورك بعد ولكنك تصلى كما لو كنت راهباً . ولكن كانت روح زكريا قد أجهدت فى الصلوات وهو قد صلب نفسه لأجل ذلك . ثم بدأ اخفاء السبحة فى جيبه حتى لا تؤخذ منه . وبدأ زكريا يؤقلم نفسه لأداء كافة الأعمال المكلف بها . فكان يذهب أولاً الى المخبز حيث يقوم بخبز ما يقرب من أربعة آلاف رطل من الخبز يوميًا . فكان متعباً جداً لدرجة أنه من الصعوبة عليه أن يقوم بحمل شىء أو ما الى ذلك من التعامل باليد وكان جسمه يتصبب عرقاً حتى انه يستبدل ملابسه مرتين فى اليوم وكان ينام ساعتين فى اليوم بملابسه على دكة من الخشب موجودة فى المخبز . وقبل أن يصبح زكريا راهبًا كان يؤدى عشرين عملاً مختلفًا . فأين هو المكان الذى لم يذهب اليه وأى الأعمال التى لم يستطع القيام بها ؟ لقد كان عليه أن يذهب الى قاعة الطعام وكان يقوم بأعمال القندلفت ويصنع الشمع وكان يقوم بخدمة القلالى وقاعة الطعام وكان يقوم بكل واجباته الرهبانية . ولما كبر زكريا تذكر عندما كان لم يزل طالب رهبنة (مبتدئ) وكان دائماً يقول : الشكر والمجد للّه على كل شىء ومن أجل كل شىء .

وفى يوم لبس الهيئة الملائكية أى الزى الرهبانى وذهب الى حيث أبيه برناباس وقال له : اننى سوف أموت ولن أعيش حتى أخذ الشكل الرهبانى فاسمح به لى الآن سراً فأجابه ان هذا لن يحدث سراً بل علانية . سوف تصبح راهبًا فى العلانية اننى أحذرك أن تأخذ أدوية من الدكاترة أو أى علاج . عيش كما أنت وقاتل المرض بالشكر واطلب المساعدة من اللّه وحده وسوف أصلى الى اللّه من أجلك وسوف تعيش من العمر مائة عام . أما إذا أخذت بنصيحة الأطباء لن تعيش كثيراً وسوف تموت قريبًا . سوف تتسلم كل شىء فى وقته . ثم ترسم شماساً ثم راهباً ثم كاهناً . ثم تكون أب اعتراف الاخوة فى الدير . ثم بدأ زكريا أعماله فى قاعة الطعام حيث وجد الكثير من الأعمال عليه أداءها وكان يعمل ما فى وسعه لكى يؤدى عمله بإتقان كما لو كان ينظر اللّه كل حين .

ومرت عشرة سنوات منذ أن دخل زكريا الدير والكثير من معاصريه لبسوا الزى الرهبانى ، اشتعل قلب زكريا حبًا فى اللّه وأراد أن يكون نذيراً للرب بأن يحلق شعر رأسه ليكون فى عداد خدام اللّه (الملائكة) حتى يستطيع أن يخضع نفسه أكثر للّه ويتعل حبًا أكثر له . ولكن الكثير من الرهبان كانوا لا يحبون زكريا . الوقت الذى قضاه فى الدير كان فترة من أسوأ الفترات التى مرّ بها رهبان الدير روحيًا حيث كان بعض الرهبان يعيشون حياتهم فى الظاهر فقط ولكن حياتهم الداخلية كانت مماثلة لحياة أهل العالم تمامًا . فقد كانوا يأكلون اللحم كما كانوا يحتفظوا بالأموال ولا يعطون منها للفقراء ، كانوا يصلون بأفواههم فقط ولم يكن لديهم الحماس أو الغيرة فى اكتساب الفضائل الرهبانية ، كانوا يقومون

بأداء الأعمال البسيطة وبعضهم عاش حياة طفيلية تماماً ، كما أن الهدف من الحياة الروحية والامتلاء من الروح القدس قد نسوه تمامًا . وكانوا يكلمون زكريا هكذا : انك لو عشت حياة طبيعية كباقي البشر لكنت أصبحت راهبًا منذ زمن بعيد فأنت تتظاهر بالقداسة أكثر من نفسك . فأنت تصلي كل حين ولا تذهب الى أى مكان فى الخارج وتستقبل الناس عندك وتطعمهم وتقدم النصيحة ولكن هذا ليس الكل . أنظر أى نوع أصبحت أنت الآن . ولكن زكريا بثبات تذكر كلمات الأب برناباس : سوف تصبح شماساً ثم راهباً وبعدها أب اعتراف لرهبان الدير . وقلبه كان دائماً متجهاً نحو اللّه . ووضع أمله كله فى اللّه « لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده » « ملعون من يضع أمله فى انسان ولكن مغبوط من يضع أمله فى اللّه» «مغبوط هو الرجل الذى يحتقر كل أباطيل العالم ويضع رجاؤه على الرب إلهه » ، والقلب الذى له هذا الميزان يستطيع أن يرتفع بصلوات قلبية مشتعلة الى اللّه وشفاعة كلية الطهر .

وبعد ذلك دعى زكريا لأجل سيامته فى رتبه رهبانية وسمى زوسيما .

وبعد عشرة سنوا ت رسم الأب زوسيما دياكون وبعد ذلك بعشرين عاماً فى كنيسة الثالث الأقدس فى دير دانيلوف بموسكو رسم الأب زوسيما رئيسًا للمتوحدين والذى رسمه هو الأسقف سيرافيم تشيكاجوف .

كلما برع زكريا فى حياة الفضيلة كلما صوّب عدو البشر سهامه نحوه . وكان يستخدم فى ذلك كل من يكرهون السلوك بالروح .

أولئك من الرهبان الذى بسبب خطاياهم داسوا على رتبتهم بأقدامهم ولم يكن يحتلموا أن يروا الأب زكريا ، وكانوا يسخرون منه ولكن دون أن يظهروا له ذلك ، وكان الكثير منهم يقومون بخداعه . ولقد كان بعضهم لرؤيتهم الأب زكريا بغربته الكلية عن العالم وحياة الايمان التى يسلكها والشركة مع العالم الغير مرئى كانوا يخافونه ، وكانوا يكرهون هذا الرجل البار ويتمنوا أن يبعدوه عن هذا المكان (الدير) ويقولون له : يا لك من غبى انك نحيف الجسم ولا تتكلم ولا تعيش كما يعيش الآخرون ولكنك تتظاهر بالقداسة أكثرمن اللّه القدوس نفسه . هذه الأقوال وادعاءات أخرى مماثلة كانت تنهال على هذا الصغير الثابت فى ايمانه الغيور فى محبة اللّه الراسخ الذى اجتهد فى أن يمتلك الشىء الوحيد والهدف من الحياة المسيحية ألا وهو اقتناء الروح القدس .

نحن هنا بصدد الوقت الذى حدث فيه أكثر انحراف فى الحياة الرهبانية . حيث رأى بعض الرهبان عدم الالتزام بنذورهم الرهبانية . ولم يحافظوا على رتبتهم (سمو حياتهم الروحية) حتى لا يمكن أن يطلق عليهم لقب راهباً ، ولكن على النقيض من هذا كانت هناك أمثلة ازدهرت فى هذا العالم المقفر وانتشرت رائحتها الزكية متمثلة فى حياتهم النقية كالأطفال « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال » وكل الفضائل المسيحية وأحد هؤلاء هو الأب زكريا الذى نحن بصدد ذكر حياته هذا .

قبل أن يرسم كاهناً أسند اليه واجب آخر وهو أن يخدم فى قلاية الأب الراهب الكاهن نيقولاوس . لم يكن هذا الأب يعيش حياته الرهبانية كما يجب فقد كان يحب ادخار المال والكثير من الأشياء التى لا يحبها هو فقط . وكان يأكل أكثر من اللازم مشابهًا بذلك

بعض صور الحياة التافهة لأهل العالم . ولما مرض الأب نيقولاوس مرض الموت يا الهى كم كان مرضاً قاسياً . وكان يعانى كما لو كان فى الجحيم . ولم يكن مرضًا عضوياً فحسب ولكن نفسياً أيضاً بسبب سلوكياته الغير قويمة . فقد كان ضميره يؤرقه (بل ويمزقه) لدرجة أنه كان يصيح بأعلى صوته متألماً بالروح قائلاً : يا أبونا زوسيما دعنى أموت اننى لا أستطيع أن أحتمل أكثر من ذلك . فيجيبه الأب زوسيما (زكريا) يا أبى الموقر ما الذى تقوله ، ان الحياة من الداخل والموت هو اشباع ورسوخ لحياة الروح الممتدة حتى بعد موت الجسد . سوف يكون عذابك أكثر إذا لم تعترف بخطاياك ، ان اعترافك قد تأخر جداً اننى أرى أنك تمتلك الكثير من الممتلكات الغير ضرورية أعطها للفقراء . انه من الضرورى أن توزع هذه الأشياء أولاً فأنت لا تعيش على الأرض أكثر من هذا . قر بخطاياك هب كل ما لك . حيث أنه لا توجد رحمة لمن لم يستعمل الرحمة « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » ثم أعطى الأب زوسيما للرجل الذى يموت الانجيل حتى يقبّله ، وقال له سوف يجعلك تشعر بتحسن . ولكنه رمى الانجيل على الأرض ما هذا الذى فعلته ؟ لقد رميت على الأرض الكتاب الذى يكلمنا اللّه من خلاله والذى تحيط به طغمات الملائكة . وفى حالة من اليأس بكى الراهب بصورة كما لو كان أصابه الجنون ومزّق ثيابه وتأوه : آه . انك لا تعلم كم أنا خاطئ . دعنى أزيح الحمل عنى وأريح نفسى سوف أعترف لك وأنت سوف تتضرع الى اللّه من أجلى ، ولا تعذبنى أكثر مما أنا فيه . ولكن أين هذا العذاب من العذاب الذى سوف لا ينتهى فى جهنم ، وإنى سوف أستدعى أب اعترافك حيث يمكنك الاعتراف . اننى لا أريد أب اعتراف . اننى سوف لا أكشف نفسى لأى أحد ، إلا

أنت . اقبل توبتى وإلا سوف أقتل نفسى ، اننى لا أعرف ما يجب أن أفعله اننى أحترق تمامًا كمن يتعذب فى جهنم . لقد نجوت لقد أنقذت . يا أبى زوسيما رغم أنك مازلت صغيراً وأنا شيخ ولكن حينما تصبح أب اعتراف سوف تعطى حلاً عن خطايا . اسمع . اننى أترجاك . ثم خضع الأب زوسيما . ولكن يا الهى لقد سمع ما لم يرد أن يسمعه وممن ؟ من الكبير . لقد أقر (اعترف) بخطاياه لينجو من العار والخزى أو الخوف ولكنه كى يتناول من الأسرار المقدسة وبالتناول سوف يدخل الى الدينونة (ويقف أمام العدالة الالهية) ولكن هذا الرجل البائس قد اعتصر تمامًا ... من الألم الذى مزق الروح . فما كان من الأب زوسيما إلا أن ركع أمام أيقونة ملكة السماء وانفجر فى البكاء وترجاها أن ترحم هذا التائب عن ذنوبه . ووعد نيقولاوس أنه إذا سأل عن خطاياه نيابة عنه فانه سوف يغفر له إذا كان له الحق فى هذا وترجاه أن يبدأ فى أعمال الرحمة (إعطاء المساكين) قبل أن يفوت الأوان ووافق الأب نيقولاوس ، وحالاً كان كل ما فى القلاية فى أيدى الفقراء . كل الأموال التى ادخرها فى حياته أعطيت للذين لا يملكون شيئًا . ثم رحل الرجل الكبير فى سلام وهو يتمم صلاة التوبة .

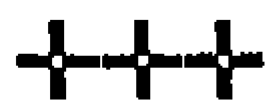
بعد ذلك حكى لى الأب زوسيما عندما سألته عن مأساة الأب البائس نيقولاوس سألته هل حاللته عن خطاياه؟ أجاب ليس بعد لقد قدمت عنه صلوات ومن أجل خطاياه .

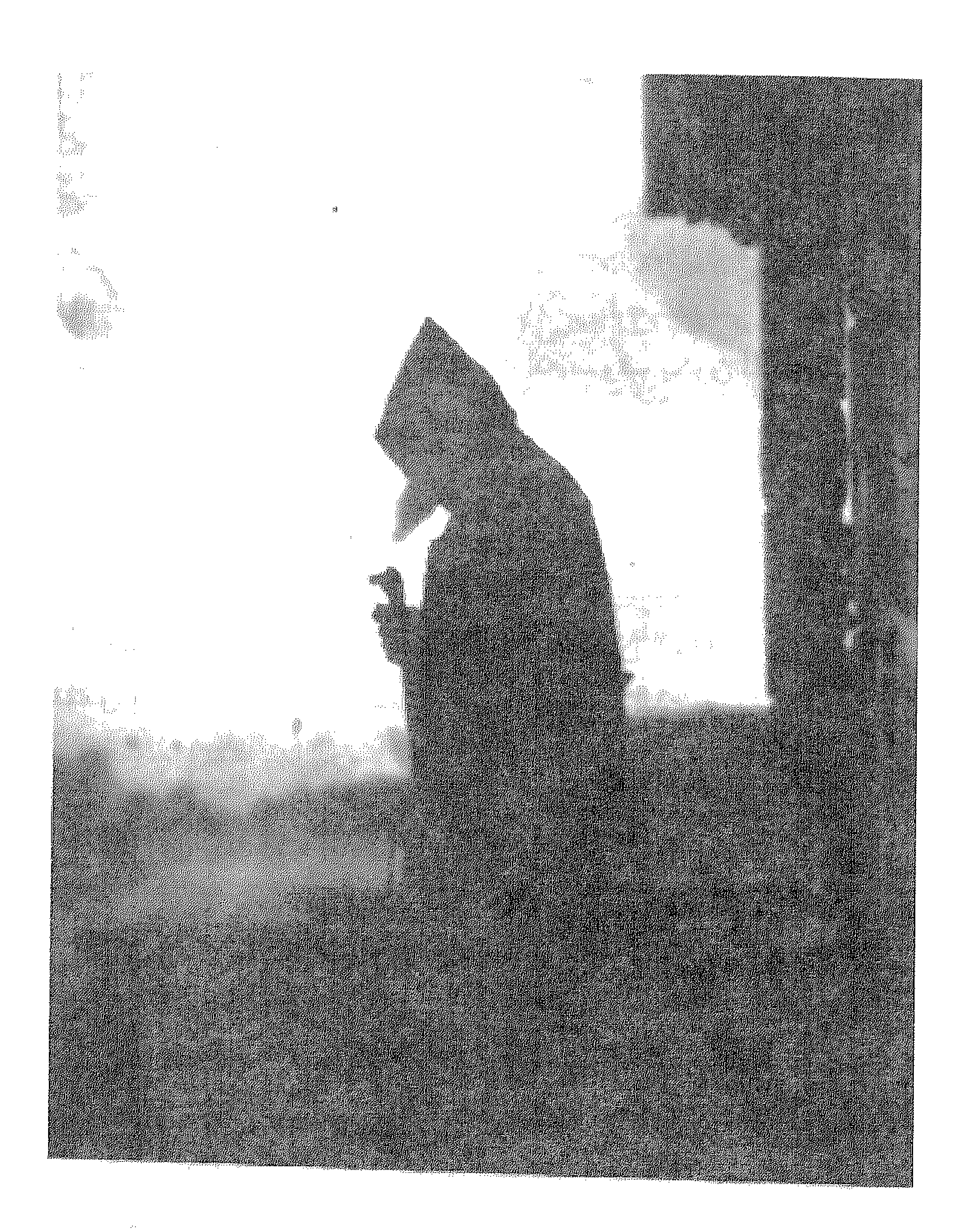
وفى ذات يوم كلف الأب زوسيما أن يجمع المال من المارين عند محطة السكة الحديد فأخذ الأب زوسيما عصاه وباتضاع وكل الطاعة رحل الى المكان حيث يمكنه القيام بالمهمة التى كلف بها . مما

جعل بعض الرهبان يتندرون قائلين : حسناً لقد وجد هذا الأحمق عملاً جيداً ليؤديه وبالرغم من مرور سنوات كثيرة له بالدير فإنه لم يقل أى أحد كلمة من أجل رسامته .

فجلس الأب زوسيما ومعه الوعاء عند المحطة . وفجأة ظهر طفل لم يتجاوز عمره ثلاثة سنوات ووقف بجانبه وتطلع اليه فنظر اليه الأب زوسيما بنوع خاص بالإحساس بالاحترام والتوقير . وأخيراً قرر أن يبدأ محادثة معه . وانتابه الفضول ليعرف من أين أتى؟ . اخبرنى : هل سأرسم دياكون ؟ فرد عليه بالايجاب . وتكلم الطفل بوضوح وجلاء نعم سوف يحدث . وهل سوف أكون كاهناً راهباً ؟ فرد عليه بنعم . هل سأكون رئيساً للمتوحدين ؟ نعم سوف تكون . فقال الأب زوسيما فى نفسه ربما يقول نعم على كل الأسئلة فمن الأفضل أن أسأله سوف أكون مطراناً ، فأجاب الولد لا ، سوف لا تكون . لم لا ؟ لأن اللّه أمر بذلك ، ثم اختفى . انه لا بد أن يكون ملاكاً أرسل من قبل المخلص نفسه . ورشم نفسه بعلامة الصليب . تلك معجزة رائعة شجع بها اللّه القائد الروحى الأب زوسيما .

بعد عودة زكريا الى الدير اشترك مع بعض الرهبان الآخرين فى دراسات مختلفة مع رئيس المتوحدين ثم عقد امتحان وبذلك يكونوا قد أنهوا دراستهم العامة .





الفصل الثالث

أصبحت رسامة زوسيما وشيكة الحدوث بواسطة اللّه نفسه بالرغم من كل العوائق التى وضعت فى الطريق بواسطة أولئك الذين يكرهون حياة الأبرار (حياة البر) فقبل الرسامة بوقت غير كثير استلم زوسيما خطاباً من أب اعترافه الأب أندرو (هو نفسه الأب ابرأم اللابس الاسكيم) ونصها كالآتى : صديقى العزيز لقد اعتقدت انه لن يسقط فى اعتبارك انه سوف يكون لك نصيب فى السيامة المقدسة مع الاخوة ولكن انعكس الحال واستبعدوك . لذلك فإن ملكة السماء بنفسها سوف ترفعك وتأخذ أول رسامة وهى دياكونية (شماسية) وعندما تصبح شماساً سوف تستعد للخطوة التالية الكهنوت . لقد أتى الوقت عليه لكى يسام السيامة المقدسة على عكس ما كان متوقعًا . فإن أناس من الخارج بدأوا يذكّروا المسئولون فى الدير عن هذا الراهب المتواضع الذى سبقت فقرّرت له ملكة السماء بنفسها الرسامة .

لقد أُتيح للأب زوسيما بأن يدافع عن نفسه ولكنه أجاب بالنفى « لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بنى البشر الذين ليس عندهم خلاص » . ولكننى وضعت أملى فى اللّه الواحد وفى أمه كلية القداسة العذراء مريم . وبعد ذلك هناك رسم شماسًا ثم بعدها بقليل رسم كاهناً راهباً بواسطة الراهب الموقر تريفون trifon الذى كان يعرف الأب زوسيما منذ زمن بعيد ويحبه ويوقره . وبعد ذلك تسلم الرسامة المقدسة والمهنة المكلف بها وهو أب اعتراف الدير كله والذى وضعت على عاتقه .

فى هذا اليوم أصبح هناك عشرة رهبان جدد بما فيهم الأب زوسيما . وقد أمضوا بعض الأيام فى الكنيسة حيث تناولوا من الأسرار المقدسة والصلوات وعندما حان وقت الخروج اقترح الأب زوسيما على الرهبان الجدد أن يذهبوا ليسجدوا أمام أيقونة سيدتنا وأن يقابلوا الأب الكبير برناباس فوافق خمسة منهم أما الخمسة الآخرون بقوا فى زماكنهم والأكثر من هذا أن أحدهم تكلم بوقاحة فى حق الأب برناباس قائلاً : لماذا أنا فى كل الأرض يجب أن أذهب؟» ماذا سوف أفعل مع هذا النبى الكاذب برناباس ؟» «آه الويل لك أيها البائس » قالها الأب زوسيما وبدأ يبكى والذى حدث لهذا الأب الذى يدعى ناحوم سوف نتحدث عنه فيما بعد . وبذلك بقى خمسة فى منازلهم مثل الخمسة عذارى الجاهلات وخمسة إنطلقوا الى قلاية الأب برناباس كانوا يرغبون بشدة فى رؤيته ولكن كان هذا صعباً للغاية حيث كان يوجد جمع كثير فى انتظاره ولكن لا توجد وسيلة لاستقبالهم جميعاً . فوقفوا فى طلب معونة أيقونة المعجزات التى لسيدتنا ثم التفتوا الى الأب زوسيما وطلبوا منه « صلى الى ملكة السماء حتى نستطيع أن نتقابل مع الأب الكبير برناباس صلى الى سيدتنا لأنه من هو أقرب اليها منك أنت ؟ نحن نعرف أنك تحتمى فى حماها وأنت تأخذ بركاتها فى كل تحركاتك بارادتها ومشيئة ابنها مخاطباً وهذا كل شىء بالنسبة لك .

فى الأول رفض الأب زوسيما قائلاً : ماذا تقولون ؟ اننى انسان خاطئ أنتم تستطيعوا أن تتشفعوا بها أكثر منى الى ملكة السماء . ولكن توسلاتهم كانت قوية لدرجة أنه خضع وبدأ يتشفع الى والدة الإله « يا ملكة السماء يا كلية القداسة دعينا نمر الى أبينا الكبير

دعيه يتقبلنا ويبارك وينصح كل واحد على حدة دعى كل واحد يكتشف فى نفسه ما يحتاج الى معرفته يا ملكة السماء اسمعينا » وبعد هذه الصلاة كل واحد اتخذ خطواته قاصداً الكوخ الذى يقيم فيه الأب برناباس . فخرج الأب الكبير الى الممر كما لو كان فى انتظار الرهبان وبالرغم من الجمع الضخم خاطبهم « مرحباً أيها الاخوة القديسون » ، وقال أيها الأب جريجورى اصنع شيئًا لهؤلاء الاخوة العظماء كل واحد فيما عدا الأب زوسيما الذى وقف بجوار دولاب ذو أدراج يتفحص فى الصلبان والأيقونات التى يعطيها الأب الى الزوار ثم خاطبه الأب برناباس قائلاً – ولكن أنت يا زوسيما أينما جلست تكون أب اعتراف الأخوة جميعًا بالرغم من الحقيقة التى جعلتك تصبح راهبًا بعدهم ومن جانب آخر انه سوف تعيش حتى يجىء الوقت الذى تكون فيه وحيداً فى الدير .

وفى الحقيقة ان الأب زوسيما الذى دعى فى الاسكيم باسم الأب زكريا عاش عيشة صالحة وعاش أكثر من كل معاصريه . وعاش سنينًا كثيرة أكثر من أى أحد فى دير الثالوث القدوس . ولما طرد كل الرهبان لم يترك الأب زوسيما الدير . وكان من المستبعد أن يترك الدير كما قال الأب برناباس أيضًا .« ثلاثة منكم أيها الأبهات سوف يرتدون صلبان ذهب الاثنين الآخرين سوف يكونوا رؤساء شمامسة » وكل شىء تغيّر كما قال الأب الكبير . وبعد ذلك بفترة صغيرة توفى اثنان من الرهبان فى رتبة رؤساء شمامسة وثلاثة آخرون تقدموا ليأخذوا الصلبان الذهب . وأصبح الأب برناباس كبيراً جداً وعلى مدى ثلاثين عامًا كان الأب زوسيما يأخذ بمشورته في كافة الأمور وكان قد اعتاد أن يقول اننى لم أبلغ بعد شىء ولكنى رأيت آخرين وقد حققوا أشياء تذكر .

ولكن مـا الذى حدث للراهـب الذى تـكلم بوقاحـة عن الأب الكبيـر برناباس وهـذا ما حدث له . نظراً لأن لم يعتاد على اطاعة رؤساءه فى الدير فقـد أبعد الى بلد بعيد حيث يوجد نيكولان المتوحد . حيث أنه لـم ينجح فى شـق طريقـه فى الرهبنة وحمل الصليب دائمًا وصلب النفس ورفض المشـيئة الذاتيـة (انها استشهاد) ، انه لم يعتـبر أن عدم الطاعـة خطيئة عظيمة وضد الحياة الرهبانية . ولكنه يفكر انه يعامل معاملة غير عادلة ، معاملة مهينة . فنشط العدو فى السيطرة عن نفسه التى لم تعدّ نفسها لحياة الجهاد ثم أسقطه فى اليأس .

وبدأ الأب زوسيما يقوم بعمله كأب اعتراف عام للدير كله . لقد كـان يـوقـر هـذا السـر العظيم (الذى هـو الاعـتـراف) والـذى بدأ منذ القـديم منذ اللحظة التى دعى اللّه فيها آدم وحواء فى جنة عدن بعـد السقوط على الاعتراف بخطيئتهما كان الأب زوسيما دائماً يعتـرف (يسلم لـه) برحمة المخلص العظيمة وهذه المحبة التى توصف نحـونا ، متمـثلاً فى سـر الاعتراف . لم يكن مستعجلاً فى انهاء جلسة الاعـتراف وكـان هناك بعـض المناسبات التى يسـتمع لثلاث ساعـات لمعتـرف واحد . لقـد كان هـناك بعض الخطاة يقـرون بخطايا حـياتهـم كلها ويتـرجـونه أن ينصحـهم ويرشـدهـم فى كل نواحى الحياة واحتياجاتهم وأحـوالهم. ولكن الغالبية من المعترفين فى هذا الوقت كـانوا يهـتمـون بشـئـون المال أكـثـر من اهتمـامـهم بخـلاص أرواحهم فكانوا يتهمون الأب زوسيما انك لا تعرف كيف تستمع الى المعترفين فأنت تقضى كل خدمتك مع شخص واحد ولكننى أسمـع (أربح) ثمـانية وثـلاثين روبل فى نفس الـزمن. والرهبـان لم يكن يعيروا لمبدأ الفقر الاختيارى اهتماماً على الاطلاق .

كان الأب زوسيما يترجى الزوار أن لا يحبوا اقتناء الممتلكات ولا ادخار المال . وكان هناك راهب اسمه الأب ثيؤكتيست الذى اختفى بآلاف الروبلات . فاكتشف الأب زوسيما ذلك وأخذ يتوسل اليه : وزع كل ممتلكاتك وأعطى أموالك للفقراء . أعطى هبات للكنيسة ، فأطاع الأب ثيؤكتيست وبعد موته بقى عشرون روبل فقط فى قلايته. رأى الأب زوسيما فى حلم ان الأب ثيؤكتيست قد ظهر له من العالم الآخر وطلب منه أن يوزع العشرون روبل الباقين على الفقراء ترحماً على روحه .

وذات يوم أرسل رئيس الدير الأب زوسيما لرؤية الأب أجافون (agafon) لقد كان الطريق طويلا الى صومعته وقد اختصر الأب زوسيما الطريق مستخدماً طريقاً عبر البحيرة .

لقد اختفى الماء تمامًا وكان الثلج والجليد يغطيان الضفتين . رشم على نفسه علامة الصليب ثم انطلق ممسكاً بيده عصا طويلة على الضفة لم يكن هناك مشاكل ولكن لما ابتعد قليلاً غاصت العصا الى أسفل ووجد الأب زوسيما نفسه فى الماء وقد زاد عمقها عن عشرون قدم . فجذب الأب زوسيما عصاه خارجاً وبشجاعة صار فوق الماء. وعمل هذا كعمل من أعمال التوبة يتلو الصلاة ويقرع صدره . وكان من زملائه من الرهبنة على الضفة دياكون من الصومعة كان يتطلع اليه بدهشة كبيرة متسائلاً عمن يكون سائراً على الماء عبر البحيرة ولما تحقق من أنه الأب زوسيما صاح قائلاً : يا أب زوسيما ما هذا هل بدأت تصنع معجزات ؟ فأجاب الأب زوسيما سامحنى يا أبى اعتقدت أن الماء قد تجمد وقبل كل شىء قد سرت فوق ماء متجمد ولكن بسرعة انصهر الثلج ولكنى عبرت صانعاً أعمال التوبة وأنا معى أيقونة القديس زوسيما والقديس سافاتى

القلب ولم تكن ذو تأثير على الأعداء الذين أُعموا بواسطة حقدهم وغضبهم .

نار التجارب :

وبعد الأب پول رئيس الدير الرجل الايجابى الصالح الخيّر . تولى الرئاسة الأب طوبيا . وكان الأب طوبيا مقتم المزاج وكل الحياة الروحية للدير صارت فى انحطاط عظيم. لقد كان يكنّ حقداً كبيراً للأب زوسيما . ويكرهه لقد حاول مرتين الهجوم على حياة الأب زوسيما من خلال أناس آخرين حتى فى الأشياء البسيطة . لقد كان الأب زوسيما يخدم بدون أجر لمدة خمسة عشر عامًا حيث أن الأب طوبيا لم يخصص له ولا كوبيك واحد ولكن الأب زوسيما كان يشكر اللّه على كل شيء ويصلى من أجل أعدائه ولا يدينهم فتأكد من أن الشيطان نفسه هو الذى يهاجمه من خلال البشر . لقد كان يشعر بالأسف على هؤلاء الذين يهينوه ويكره الشيطان أكثر وأكثر.

لقد مرّ بالأب زوسيما تجارب كثيرة فى حياته. ذات يوم انتزعت درجة سلم من تحته فأصيب الأب زوسيما بدرجة خطيرة . وفى الحمام سكب عليه ماء مغلى . لقد كان يهزأ به بكل طريقة . وقد وصلت الدرجة بهم الى اتهام الأب زوسيما بأنه مجنون وحاولوا ارساله الى مستشفي للأمراض العقلية . حيث يوجد الله أيضًا ، قائلاً لهم اصنعوا بى ما شئتم ولكننى لا أعيش بطريقتكم (على منوالكم) اننى علىّ أن أطيع ما يمليه علىّ ضميري وأن أعيش طبقًا لوصايا الله . انه شيء شاق للغاية للأب زوسيما أن يتحمل كل هذه الهجمات الخاطئة من خلال تصرف الأعداء الحاقدين من خلال الرهبان المحيطين به . فذهب الى أبيه الكبير برناباس أن يعطيه البركة (يباركه) لكى ينتقل الي دير آخر . أجابه الأب برناباس بالرفض . لن أباركك من أجل هذا . عش هنا ولا تذهب الي

أى مكان آخر. وأريح نفسك لا تدخر نقوداً ولا تشرب نبيذاً ولا تأخذ دواء وعلى هذا فإن الأب الذى يعانى كثيراً مكث فى الدير.

وصلّى الأب زوسيما من أجل الأب الغير مستحق طوبيا والصلاة قد سمعت ، وقد حدث بطريقة ما أن كان شيء مفيد جداً للأب طوبيا أن أرسلوه الى التقاعد ، فحاول أن يغيّر طريقته المألوفة وتحت ضغط المرض قد خضع لرئيس الدير الجديد . وعندما قضى وقت فى العزلة بدأ الأب طوبيا ينمو فى الخضوع وللمرة الثانية زاره الأب زوسيما وترجاه بدموع أن يسامحه .

وذات مرة ذهب الأب طوبيا الى الكنيسة عندما كان الأب زوسيما متولى الخدمة وسأل القندلفت «من الذى سوف يقوم بالخدمة ؟ أخبره بأنه الأب زوسيما فقال أخبر الأب زوسيما أن ينتظرنى فى حالة ما أكون قد تأخرت . اننى أريد أن أتناول الأسرار المقدسة أثناء خدمته . لقد ترجى السماح (طلب المغفرة) المرة تلو المرة ثم حصل على الاسكيم ثم مات .

وبعد موته تولى الأب كورتيتوس رئاسة الدير وكان دائماً يوجه الاتهامات الى الأب زوسيما ولكنه أعطى له وصفه كراهب كبير فجعله أب اعتراف للدير كله . لقد عانى قلب الأب زوسيما المحب الكبير لقد كان يتألم عندما يرى الى أى درجة انحدر اليها اخوته الرهبان وكان يزداد كرهاً لعدو البشر .

لقد كان الأب زوسيما يحب الفقراء ، المرضى ، الحزانى المنبوذين ، المعذبين ، المتألمين وكانت محبته لهم تنمو وتزداد . وكان يستقبلهم فى قلايته وكان يرعاهم ويحتضنهم كالأم مع أولادها ويعزيهم ويشجعهم ويعلمهم . وكان قد مُنع من استقبال الناس

عنده ولكنه تمم وصية المخلص « أحبوا بعضكم بعضًا » ولم ينحرف عن طريقه (الهدف) برغم كل الاتهامات التى كانت توجه اليه .

تعاليم روحانية :

ثم رأى فى حلم والدة الإله كلية القداسة وأعطته البركة (باركته) ليستقبل الناس . لقد أخضع نفسه بالكامل لله وسار فى الطريق الضيق بخطى ثابتة . اعتاد الأب الكبير زوسيما دائمًا أن يقول : « أحيانًا لا يعرف الانسان ما يجب أن يقوله : فإذا أراد المرء أن يتكلم الله على فمه (من خلاله) عليه أن يصلى هكذا « يا رب هل من الممكن أن تسكن فى داخلي ؟ هل من الممكن أن تتكلم من خلالى ؟ هل من الممكن أن تعمل بى ؟ فعندما يتكلم الله على فم انسان تكون جميع كلماته مؤثرة وتأتى كل كلماته بما ترجوها (تتم) حتى أن الانسان الذى يتحدث بهذا الترتيب يدهش لذلك . من الضرورى أن يمتلك الانسان ايمانًا قويًا (ثابتًا) ويخضع قلبه ويكون كلامه بمشيئة الله (سوف لا أتكلم كلمة من عندى إن لم تكن هذه بارادتك . اصنع معى حسب مشيئتك ، لتكن مشيئتك) ، هكذا تكون الصلاة فقط أن لا يعتمد الانسان على حكمته . بل تكون لديه الحكمة التى تجعل الله يقترب ويتدخل ويعمل ما يريد بالانسان . لا تتعب كيما تكون غنيًا لا تطلب ما هو على الأرض هيئ نفسك الى الجحيم إذا ما أردت أن تكون غنيًا . عش أمينًا وتذكر أننا لا نملك وطنًا دائمًا هاهنا . ولكننا ننتظر الآتى .

كان الأب زوسيما دائمًا يردد « يا أبناء المسيح نحن نعيش بطريقة دنيوية ولا نفكر أبدًا فى الأبدية ولكن يجب بالحقيقة أن نفكر فيها وأن نسير بخوف الله . يجب أن تتذكروا أن أعمال الدير تسجل بواسطة الملاك الحارس وتجعل الله يعتني بكم ولكن كل خطية تسجل بواسطة قوى الظلام . يجب ألا تعملوا أي شيء من أعمال الظلمة فى الخفاء لأنها سوف

تتجلى قبل أن يأتى وقت لا تنفع فيه التوبة . اتضعوا فتريحوا نفوسكم من خلال قراءتكم يجب بأن تعوا هذا الكلام جيداً حتى يدخل قلوبكم ، اجتهدوا أن تكونوا تلاميذ للمسيح حتى يحل روح الله فيكم « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لأنفسكم » (متي ١١ : ٢٩) يجب أن تحبوا الناس بالحق والحقيقة ، ليس بالكلام ولا باللسان . يجب أن تتعلم أن تحب الناس كما تحب نفسك حتى يرى الآخرون هذه المحبة الغامرة والعناية التى بينكم بعضكم لبعض .

انتبهوا لأنفسكم اعطوا فى الخفاء وابتعدوا عن الظاهر لا تطلبوا مجد أنفسكم كمثل القديسين ولكن اعطوا كل يوم ، واليوم الذي لا تعطوا فيه لا يحتسب فى الأبدية ولا يحتسب من عمركم . ان العطاء يساعد الانسان فى الحصول على فضائل الروح القدوس « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » (متي ٥ : ٧) ان فضيلة العطاء يمكن أن تخلص النفس الخاطئة حتى من جهنم . ان الملاك المختص بهذه الفضيلة يقف دائماً أمام عرش الله ويسجل عطايا البشر « لا تهتموا بالغد لأن الغد يهتم بنفسه يكفى اليوم وشره » (متي ٦ : ٣٤) أنظر لليوم الذى تعيشه كأنه آخر يوم في حياتك . دائمًا تذكر أن الله يراك ويرى كل أفعالك، كل أفكارك ومشاعرك . اكره الخطية لأن الخطايا هى أكبر شيء . ان الخطية تولد الشيطان ، الخطية تجعلنا نقع فى نيران الحزن والكآبة كمن فى جهنم ، وتفصلنا عن الله وعن الشركة مع الله الواحد المثلث الأقانيم . لذلك يجب أن تسلكوا بالاستقامة وبحرص . فالأطفال الصغار لا يكونوا بعد مُنكسري الخاطر أو منبوذين ، وبكل تأنى وصبر يحملوا أي صليب « ملقين كل همكم على الله جابرين أنفسكم بكل قوة على كل ما هو حسن سائرين عبر الطريق الضيق المقدس الذي للفضيلة الذي يقود الي ملكوت السموات » يجب أن نتذكر ان الله أعطانا الحرية ولم يجعل أحداً يأتى اليه بقوة ، يجب عليكم الجهاد حتى يستعلن مجد الروح القدس فى قلوبكم .

إذا آمن انسان بالله فهو يثق بدون أدنى شك أن كل أمور حياته تتم وفقاً لمشيئة الله إما أن الله يسمح بسرور بها . وكان دائماً يردد « لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بإذن من الله » يجب أن نكون سعداء . وأحياناً نهين الله عندما نشك فى الله بسبب المصائب والأحزان التى تصيبنا والتى تسقطنا فى الكآبة والتذمر واليأس والحزن الذى بغير رجاء والقسوة . فلم يعد للمشاعر وجود فيها إلا الاحتدار ومشاعر الألم التى تقتل وتحرق كل شىء.

إن المصائب والأحزان تصل الينا تحت مظلة عناية الله وهى تدعم جهادنا فى الحياة الروحية . ان المهارة فى أن يحتمل الانسان بدون تذمر حتى آخر يوم فى حياته . ان كل هذا يحل بنا فى هذه الدنيا المملوءة بالدموع « ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » (متي ١٠ : ٢٢) لا تنسب الى نفسك الأحداث المؤلمة التى تمر بك أو بالمحيطين حولك . ان هذه الأحداث لا دخل لنا فيها ولكنها ترسل الينا كصليب كى نحمله . لذلك احتمله بفرح دون تذمر . الرجاء القوى والايمان الثابت الى ذلك المكان الذى لا يوجد فيه لا مرض ولا حزن ولا نحيب ولا عويل ، والتى عربونها الحياة الداخلية . ان الأحزان (المصائب) التى تحتملها هنا برجاء وجلد (ثبات) سوف تعطيك والقريبين منك الفرح والتقرب من المحبة الكاملة والحق ، لدرجة لا يمكن أن يتصورّها انسان ، ان المصائب التى تحتملها بجلد (ثبات) فأنت بذلك تشهد بإيمانك بالمسيح وولائك للمخلص ومحبتك للوحيد الذى أقامك من الموت ودعانا كل باسمه . دعنا نشتاق (نحب) الى تلك الحياة التى لا تنتهى ، أى فرح أرضى قصير وينتهى بالموت ، دعنا نجاهد أول كل شىء من أجل العمق ونهتم بالحياة الأبدية . والأهم من الكل دعنا نهتم بنهايتنا المعبّر عنها بهذه الكلمات المقدسة فى الانجيل « متى أتيت أدين » .



القديس الصابر العجيب نيقولاوس :

لقد كان للأب الكبير صديق آخر عزيز عليه فى دير القديس سرجيوس وهو المبارك نيقولاس . لقد كان شخصاً رائعاً . أما اسمه بالكامل فهو نيقولاس الكسندروفيش ايفاسين . وكان اسم مولده أوسكار وكان قد غيّر اسمه طبقًا للعقيدة الأرثوذكسية . وكانت والدته تسمى نتاليا لقد كان المغبوط نيقولاس عسكرياً حسب المهنة ولكن لم يحتفظ بصحته طويلاً فقد حمل صليبًا طويلاً للمرض . وذات مرة سقط مريضًا ولم يقم من الفراش لمدة ٤٠ سنة ، فى البداية كان يسكن فى مسكن خاص ولكن بعد فترة انتقل للملجأ التابع للدير . ثم توفى والده ولم يبق أحد يهتم به لقد كان غريبًا لكل أحد وبكل شجاعة احتمل وكان يصلى . ونظراً لقوة احتماله غير العادية ووداعته فإن اللّه أعطاه موهبة الكشف (معرفة الأمور غير المنظورة) . وبدأ الأب زوسيما يزوره وأصبح مغرمًا به . وقبل الثورة بعشرة سنوات تنبأ نيقولاس بأن الامبراطور (تسار) سوف ينكسر وينهزم . وان دير القديس سرجيوس سوف يغلق ويطرد كل رهبانه وسوف يعيشوا فى مساكن خاصة . وأخبر الأب زوسيما بالمكان الذى سوف يسكن فيه قائلاً : سوف تعيش فى موسكو وسوف تُعطى كنيسة الدير الخربة وتتخذها ابنة لك . وسوف تعيش مع أبنائك الروحيين وفى موسكو سوف تصبح أرشمندريت أنا أخبرك بهذا . كن مستعداً أن تخرج نظيفاً (بلا لوم) من هذا الدير . لم يصدقه أحد فى هذا الوقت وهذه الكلمات بدت غريبة وغير معقولة لكل أحد .

ذات يوم شفى الأب نيقولاس أخت الأب زوسيما ماريا التى كانت

تعانى من فقد البصر لمدة عشرة سنوات، السيدة العجوز لم يكن أحد يراها على وجه الأرض . ان الرجل المكرم أعلن ان عينيها قد دهنتهما بالزيت من القنديل الموقد أمام الأيقونة وان ماريا خادمة الرب قد استعادت بصرها وعاشت عشرة سنوات أخرى كأى انسان مبصر .

ذات يوم عندما كان الأب زوسيما جالساً مع صديقه دخل شخص يريد رؤيته يلبس قبعة . وما كان من الرجل المغبوط إلا أنه خطف قبعته التى من الفرو قائلاً اننى لن أتخلى عنها ، انها ليس قبعتك ولكن التى تخصك موجودة خلف عربة القنطار . وعندما خرج الرجل من عند الأب نيقولاس سأله الأب زوسيما أن يخبره عما فعله بهذه القبعة . فأجابه الرجل الصغير : عندما غادرت العربة وجدت سكيراً راقداً هناك وبجانبه قبعة جديدة فأخذت الجديدة ورميت قبعتى القديمة بجانب العربة والآن قد كشف الرجل المغبوط أن كل شىء جلىّ أمامه ، فى الحقيقة انه خادم عظيم للرب .

وفى فترات متتالية كانت الملائكة تحضر له المناولة وكانت تأتى له فى صورة رهبان ويرأسهم أحدهم الذى أخذ اعترافه . وكانت الملائكة ترتل بألحان عذبة وكانت تأتى اليه ليلاً . ولكن المطوب نيقولاس لم يكن يعرف أنها رعاية السماء له . بل كان يفتكر فى كيفية معاملة الاخوة ورئيس الدير له هذه المعاملة الحسنة حتى انهم لم يكن لديهم وقت خلال اليوم حتى انهم يأتون ليلاً فى الأيام المقدسة ليريحوه فى معاناته العظيمة . وكان الأب زوسيما لا يعلم شيئاً ولكن عندما علم من الاخوة ان الأب نيقولاس طريح الفراش ويعانى من مرض خطير داخل الدير ولمدة ثلاثين عامًا لم يناوله أحد من الأسرار

المقدسة فذهب اليه ليأخذ اعترافه ويناوله . ولكن المطوب نيقولاس شكره قائلاً : انني سعيد أنه في أيام الصوم الكبير فإن رئيس الدير والاخوة ناولوني من الأسرار المقدسة وأخبرة بكل شيء . فما كان من الأب زوسيما إلا أنه خبأ كلام الأب نيقولاس في قلبه . كما انه لم يخبره بأي شيء ولكن بعد موته أخبر عن هذه المعجزة الرائعة التي حدثت لهذه النفس التي عانت من صليب المرض وحملته باحتمال عظيم .

فضائل الأب زكريا :

ان نعم الكشف قد أعطيت للأب زوسيما ولهذا قصة قد أخبرت بواسطة أحد بناته الروحيين قائلة : أول مرة رأيته كانت في (سير جيفوبوساد) كان في قلايته محاطاً بنوعيات مختلفة من البشر المتألمين . لقد كان يعطيهم الشاي ولم يكن هناك عدد كافي من ملاعق الشاي فتذكرت انني مازلت أحتفظ بعدد من الملاعق الفضية التي تركها لي وفكرت أن أحضرها معي في المرة التالية . بالكاد مرّ هذا الفكر بخاطري إلا ونظر الى الأب بود قائلاً : « انني لن أخذ ولا ملعقة واحدة فضية . ان الراهب ليس في حاجة الى ملعقة شاي من الفضة ، لقد ذهلت من بصيرة الأب الكبير فهو يعلم كل شيء الماضي والمستقبل . ذات مرة زاره كاهن شيخ لكي يعترف وقد كان يعاني صعوبة كبيرة في أن يكشف له كل شيء تلك التي كانت تقلقه . فما كان من الرجل الكبير إلا أنه بدأ يعدد خطاياه ناسباً إياها الى نفسه قائلاً : هذه هي خطاياي ونوعيتها وهذا عددها وأنت عندك مثلها أليس كذلك لذلك اعترف بها وسوف أعطيك حلاً بها . لقد ذهل الكاهن أن القديس قصد أن يعدد كل خطاياه حتى يخفي علمه

بكل الأمور المختفية لذلك قال : « هذه الخطايا التى فعلتها وهذه نوعها ، لقد أخبرنى الكاهن عنها بنفسه» .

ذات مرة قال الأب زوسيما « لقد سألت من الرب أن يأتى ويسكن داخلى ، حتى اننى لا أجرؤ أن أقول شيئًا من ذاتى بل التى يأمرنى الله بأن أقولها . أحيانًا أشعر برغبة مقدسة داخلى عندما أشعر بالقوة وصوت الله. اننى أعلم أن أحيانًا كلماتى تسبب ألمًا لبعض الناس . وأحيانًا أخرى يتعزى البعض من خلال كلماتى ولكنى اضطررت أن أخبرهم أن الله يلهمنى بما أقول . الآن اننى لا أقول شيئًا من ذاتى . لا شىء على الاطلاق . ان كلام الله ينفذ لأنه حقيقة وروح وحياة » .

ذات يوم وضع الأب زوسيما صليبًا ضخمًا من الفضة فى فمه والتجأ الى الصلاة قائلاً : « يا الله إلهى تعالى الىّ كن فىّ من خلال صليبك ، دع هذا الصليب ينصهر فى فمى وسوف أبتلعه ، دع صليبك يحيا فىّ » .

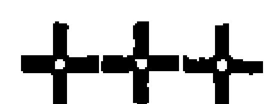
قبل التشتت الذى حدث فى الدير كان على الأب أن يحتمل كثيراً من الأشياء الصعبة من الاخوة الرهبان لقد حذر الأب زوسيما رئيس الدير قائلاً له : « لقد ظهر لى القديس سرجيوس وقال لى سوف تتشتتوا وسوف تعيشوا فى مساكن خاصة .

ذات يوم من أيام الأعياد العظيمة كان هناك خدمة طقسية فى الكاتدرائية وفجأة ظهرت ملكة السماء ، أتت عبر الأبواب الملوكية محاطة بأربعة شهداء عظماء وتطلعت الى رهبان الدير وهم يصلون فى الكنيسة ولكن كانت السيدة كلية القداسة تنظر اليهم بعين حزينة وقالت « لا يوجد رهبان هنا فيما عدا ثلاثة أو أربعة وأشارت بيديها الى الأب زوسيما وثلاثة رهبان آخرين ، ان الشهداء العظماء وكلية الطهر دائمة البتولية مريم دخلوا الى المقدس ثم اختفوا .

ان الزىّ أو حلق الشعر ليس كل ما يجعل الانسان راهبًا. الذى يسلك فى هذا الطريق يجب أن يعيش حياة الملائكة يجب أن يعيش حياة الصلاة الدائمة وأن يحب كل البشر. يجب أن يتدرب على كل الفضائل أن يعيش حياة الاتضاع الدائمة . أن يعتبر نفسه لا شىء . لا يحكم علي أحد ، أن يجاهد بكل قوته وبمساعدة نعمة الله أن يقدم رسالة الخلاص لكل من يتقابل معه .

ان الأب زوسيما لم يكف أن ينبه الناس عن الأبدية . ولكنه لم يستطع أن يكون غير مكترث بالنفوس التى تهلك بعدم الايمان ، كان يشعر بالشفقة والعطف عليها جميعًا. فأنت لا تعبر نهرًا وأنت غير مبال برؤية فقراء وأطفال غير مسئولة وهى تغرق . كل واحد منا سوف يحاول أن ينتشل الأطفال يجذبها خارجًا لينقذها حتى تعيش فترة أطول وسوف نعيدهم لوالديهم حتى ينموا ويكبروا ويكونوا سبب سعادة الآخرين فكيف يستطيع أحدنا عندما يرى ملحدين وخطاة وهراطقة وهم يغرقون في نهر الضلالة عندما تبتلعهم أعماق الهاوية الى الأبد .

فأنتم لا تتموا الوصية الأساسية تحب قريبك كنفسك . هل تفهمون ان الهدف من الحياة المسيحية انما هو امتلاك الروح !!.



الفصل الرابع
(خراب الدير)

لقد كانت محبة الأب زوسيما للقديس سرجيوس (كما ذكرت قبلاً) عميقة كما لو كان يعيش بأفكاره واشتياقاته متغلغلاً لأعماق قلب القديس سرجيوس . لم يرغب الأب زوسيما فى أن يترك المكان الذى يوجد به حبيبه القديس الذى تم فيه جهاده الروحى . ولكن القديس نفسه خاطبه قائلاً : سوف أرحل وأنت أيضًا يا زوسيما ، وأراه المسكن الذى سوف يرحل فيه بعد تركه للدير .وسأله الأب زوسيما عن جسد القديس فأجابه الأب القديس ان روحى سوف تترك هذا المكان ولكن الآثار المتبقية من جسدى ستظل حتى تنتهك قليلاً قليلاً (رويداً رويداً) وأذعن الأب زوسيما لذلك . كل الأخوة قد طردوا وبقى هو وحيداً فتحقق بذلك قول الأب برناباس له . جاء بعض الرجال المسئولين وطلبوا من الأب أن يتخلى عن قلايته فى الحال وخاطبوه قائلين : « ارحل عن الدير » أجابهم : اننى سوف لا أترك الدير فأجابوه غضباً : اننا سوف نلقى بك الى الخارج. فأخذ الأب الصليب ورشم به علامة الصليب حول كل الحجرة قائلاً : استمروا وحاولا أن تعبروا هذا الخط الذى رسمته حول القلاية فقط حاولوا وسوف تسقطوا موتى . فخاطبوا بعضهم فى حيرة « ترى ما نوع هذا الشيخ » ان قوة كلمات الرجل كانت عظيمة حتى أنه لم يجسر أحد أن يعبر الخط الذى رسمه الأب زوسيما ناهيًا إياهم أن يعبروه .

لقد كان غريباً حقاً أن رجال شباب ممتلؤون بالصحة ومسلحون

امتلأوا بالحزن . ثم قالوا : « دعونا من هذا الرجل العجوز فإنه سوف يرحل بنفسه » ومكثوا للحظات ثم غادروا .

كان الأب الكبير زوسيما يصلى لأجل كل أحد حتى آخر دقيقة متشفعًا بالقديس حتى يغفر لأولئك الذين كسروا وصية اللّه . وطلب من اللّه أن يبارك كل الاخوة الذين تشتتوا وسكنوا فى مساكن خاصة وترجى القديس ملكة السماء حتى يفتح الدير حتى يخلص الكثير من الرهبان هناك . وتذكر الرؤية التى رأى فيها القديس سرجيوس الذى رأى يومًا سربًا من الطيور وكشف له ان تلاميذه سوف يزداد عددهم لدرجة من الصعب معرفة عددهم . وأخيراً كان دور الأب زوسيما أيضًا وكان عليهم وهو آخرهم أن يغادر دير الثالوث الأقدس .

وعندما أغلق دير الثالوث الأقدس (دير القديس سرجيوس) التفت المسئول عن الدير للأب زوسيما وهو حزين جداً وقال له « أين أذهب أنا الآن ؟» شعر الأب بحزن تجاهه وقال له « اذهب حيث ترافقك بركة القديس انها سوف تكون أحسن مكان تحل فيه . أما أنا سوف أذهب دون تفكير حيث أرشدنى . فذهب الأب زوسيما الى موسكو . ووصل الى برج سير كاريف حيث يوجد بالقرب منها كنيسة صغيرة . فلما ذهب الى الكنيسة سأله الأب الذى عليه الخدمة قائلاً : « من أين أتيت يا رجل اللّه العجوز فأجابه باتضاع لقد أتيت من الصومعة الخربة حيث أسكن . فقال له امكث معنا الليلة فرد عليه بالنفى لا فإنى أخشى أن تقتلوا جميعاً ، ثم ذهب وما حدث هو الحقيقة أنه فى هذه الليلة قد تم القبض على كل الموجودين. فغادر الأب الى سيربكسى وهى كنيسة تابعة للدير والتقى بابنه

الروحى الأب سـيـرافـيـم . وفى هذا الوقت كـانت امـرأة عند الأب سـيرافيم وعندما علمت أن الأب زوسـيـما ليس له مكان يعـيش فيـه دعته عندها فى المنزل . لـقد عانينا من طول فترة السـفر الى منطقة تفير tver كما لو كنا فى مـنفى . ان كنيسـة سـافكى الابـنة لم تكن أغلقت فنائها بعد وقد خدم فـيهـا الأب بعض الوقت . وبعض فـترة عندمـا شـعـر الناس بالنعـمـة السـاكنة فى الأب بدأوا يأتوا اليه حيث يسكن . ولكن لم يكن هناك وسيلة للمقـابلة إلا بإذن صاحبة المنزل . أمـا فى الكنيـسة فكـان الزحام على أشـده حـوله **وكان يعـزى البعض ويشجع الآخـرين ويخـرج الشيـاطين . كـان يكفى لأى شخص حزين، حتى المضروب أن يتكلم فقط مع هذا الأب لبضع دقـائق وفجأة تختفى الكآبة والحزن اللذان كـانـا مـلازمـان له ويحل فى قلبـه الهدوء والسلام ويدرك عقله الله ويضحى قلبـه فى صـفـاء الطفـولة ونقـاوة الأطفـال كـمـا يحـدث فى ليلة عيد القيامة لطفل سعيد محاط بالحب لكل القريبين منه والأعزاء له . الطفل الذى لم يعـرف الحزن ولا يعـرف الغضب ولم يختـبـر الخطية وكأن الأب يقيـم النفـوس ويجـددها تلك النفوس التى تلجأ اليه .**

انه من المستحيل وصف موهبة التنبؤ التى للقديس لقد كان يرى كل ما سيحدث فى حياة كل شخص كان ينبئ بموت وشيك لبعض الأشخاص كمثل الأم الرقيقة المتلهفة على أبنائها كان لا يقول شيء بقدر ما يعدهم للحياة الأبدية . أكثر من مرة سمعناه يردد هذه الكلمات : « أحيانا أقول شيء لم أكن متوقع أن أقوله حتى انني نفسى أندهش لقد أخضعت شفتاى وقلبى وروحى للمخلص ربنا يسوع المسيح وأقول وافعل ما يوحى الى به . انني لا أملك مشيئتى ولا حتى كلماتى » .

ثمار الخدمة :

ذات يوم جاءت امرأة متقدمة فى السن ومعها فتاة صغيرة فى صحة جيدة وفى عنفوان الصبا وفجأة قال الأب للفتاة غدا تناولى من الأسرار المقدسة التى لربنا يسوع المسيح بعد أخذ اعترافك ولكن الآن اذهبى ونظفى السلالم الخاصة بحجرتى . فى الحقيقة انها نظيفة تمامًا ولكن طلبت منك هكذا لأنه فى كل سلمة سوف تتذكرين خطاياك وتندمين عليها وعندما تنتهين من تنظيفها (تكونين قد تطهرتى من دغل الخطية) تكونين قد تذكرتى كل المراحل التى تمر بها نفسك حتى تطهر ، وعندما ذهبت الفتاة لتغسل السلم سأل أقاربها القديس : «لماذا يجب عليها أن تتناول غداً ولا يوجد صوم أليس كذلك؟» انها صحتها مزدهرة هل يجب عليها أن تستعد للصيام بالصيام ؟ فأجابها الشيخ غداً سوف تفهمين لماذا يجب أن نتحدث سوياً . ولما نظفت الفتاة السلم أخذ الشيخ اعترافها وأعطاها الحل عن خطايا حياتها كلها ونظر اليها بود كبير ومحبة أبوية .

وفى اليوم التالى تناولت الفتاة الأسرار المقدسة وذهبت الى المنزل وهى تشعر بالصفاء والبهجة أما أقاربها فكانوا مشغولين بعمل الفطائر وبدأوا فى عمل الشاى . جلست الفتاة على كرسى وبدأت كأنها تغط فى نوم عميق فإن اللّه قد استلم وديعته (روحها) ولم تشعر الفتاة بأى ألم . للحظات صعقت السيدة العجوز لوفاة الفتاة وهرعت الى الشيخ ووجدته يصلى على فتاة أخرى قد فارقت الحياة فعزى السيدة العجوز قائلاً : « الآن لماذا أنت منزعجة ؟ لقد كنت أعلم ان اللّه قرر أن يأخذ نفس ابنتك وهذا سبب انى طلبت منها أن

تتناول على وجه السرعة وأخذ يواسى السيدة التى صعقت للرحيل المفاجئ للفتاة .

ذات يوم كان يقوم بالخدمة فى الكنيسة ودخلت سيدة لم يقابلها من قبل وعندما تقابلت مع هذا الشيخ النحيف بدرجة ملحوظة وفكرت ترى أى نوع من الرهبان يكون هذا الرجل ؟ كيف يمكن جذب الناس الى الكنيسة ؟ انه سوف يتسبب فى تشتيت كل هؤلاء خارج الكنيسة .

وبدلاً من أن يدخل الى الهيكل شق طريقه وسط الزحام قاصداً السيدة وخاطبها قائلاً : « أولجا لا تخافى أنى لم أطرد أحداً خارج الكنيسة . فصعقت السيدة بهذا الاختراق الروحى وقد كان اسمها فعلاً « أولجا» فسقطت تحت قدمىّ الشيخ مترجية إياه أن يسامحها على أفكارها وكانت دائماً تحضر اليه طالبة النصيحة . وكان هناك راهبة تجلس مع الكاهن على المائدة وتفكر هكذا « لو كنت أمتلك ذكاءً لكانت الأمور تختلف تماماً . وكنت أستطيع أفرح اللّه أحسن من الآن . حيث اننى لم أتعلم قط » فنظر اليها الشيخ وخاطبها قائلاً : « ان اللّه لا يحتاج الى أناس متعلمين بل هو محتاج الى المحبة » .

وسيدة خادمة الرب لم تجد مكاناً تستريح فيه لا من أصدقائها ولا معارفها ولكن الكاهن قال لها « لا تحزنى فإن الليل قد خلق لكى تستريح الخليقة » فاندهشت المرأة عندما قام بعض الناس الذى بالكاد أن تعرفهم بدأوا يترجونها أن تستريح معهم فى القرية .

ذات يوم دعى الشيخ أبناءه الروحيين للغذاء وجلس معهم على المائدة وفجأة قام وقال : « ان هناك توجد بيلاجيا كيف تعترف كيف

تترجانى أن أعطيها الحل من خطاياها انها تبكى انتظروا يا أبنائى انسوا الأكل الآن ودعونا نصلى » فذهب الشيخ الى أيقونة جانبية وقرأ الحل وبارك ابنته الروحية المعترفة فسأل أحدهم أين هى المعترفة يا أبى فأجاب انها فى الشمال وعندما تأتى سوف أسألها عن اعترافها سجلوا اليوم والساعة حتى تتأكدوا تماماً . والذى حدث أن بيلاجية كانت متوجهة الى مسقط رأسها بعد ذلك بستة أشهر وأخبرت الشيخ كيف أنها ندمت بشدة وتابت وبكت متوسلة للشيخ أن يعطيها الحل فى نفس اليوم والساعة التى أعطاها فيها الشيخ الحل من خطاياها . وهناك حالة أخرى من سيدتين أخريتين كانتا فى الطريق إحداها كانت تبكت نفسها على خطاياها فى كل خطوة فى طريقها اليه قائلة : « يا الهى كم أنا خاطئة على هذه وتلك قد أخطأت فى عملها . لقد دنت شخص ما سامحنى يا اللّه وكان عقلها وقلبها خاشعاً وساقطاً تحت أقدام اللّه .... اغفر لى يا اللّه واعطنى القوة أن لا أسىء اليك وأغضبك أكثر من هذا اغفر لى يا اللّه وكانت تعيد فى ذاكرتها كل حياتها وكانت طول الوقت تعيش فى توبة ، أما المرأة الأخرى فكانت هادئة فى سيرها الى الشيخ قائلة « سوف أذهب وأعترف وأقول أخطأت فى كل شئ غدا سوف أتناول ولكن الآن لأفكرعن الخامة التى سوف أشتريها لعمل فستان ابنتى وما هو الموديل الذى سوف أختاره لها المناسب والملائم لها . هذه الأفكار وأفكار أخرى عالميه شغلت ذهنها . هذا بالنسبة للسيدة الثانية ولما دخلا معًا إلى الأب زوسيما خاطب الأولى قائلاً : اركعى سوف أعطيكى الحل من خطاياكى فى الحال . فأجابته : كيف يا أبى وأنا لم أخبرك بها بعد ؟ قال لها أنك لست مطالبة بذلك . لقد أعلمنى بها اللّه بطول الطريق إلى هنا. ولقد سمعت كل شئ لذلك أنا أحلك

وأباركك حتى تتناولى غداً .

وخاطب الأب زوسيما السيدة الأخرى بعدها : ولكن أنتِ أذهبى واشترى الخامات لملابس ابنتك وأشترى الموديل وفصلى الملابس وافعلى كما خططت وعندما تشعر نفسك بالندم والتوبة تعالى وإعترفى . ولكن لن أخذ اعترافك الآن .

لقد اختبروا القوة الروحية التى للأب زوسيما والكشف الروحى والتنبؤ بما سيحدث لهم . وقرروا أن يسألوه عن كل شىء يقلقهم ويعرضوا عليه كل مشاكل حياتهم التى لا يجدون حلاً لها . وقد سألوه أسئلة مختلفة فى شتّى المجالات الاجتماعية وفيما يتعلق بالفن والجمال والفلسفة والحياة العائلية حتى المشاكل النفسية . فكتبت إحداهن أربعين سؤالاً والأخرى خمسة عشر سؤالاً . عندما وصلا كان الشيخ مشغولاً فقد كان الكثيرون يريدون مقابلتهم فخاطبهن قائلاً : اجلسوا يا أبنائى الصغار هنا فى الركن يجب أن أعتنى بهؤلاء أولاً لأنهم جاءوا من أماكن بعيدة فانتظرت التلميذتان وطال انتظارهم وأخيراً نفد صبرهم وفجأة نظر اليهم الشيخ وقال لهم «لماذا أنتم فى عجلة من أمركم ؟» حسناً ، أنت يا ليبوف اخرجى الأربعين سؤالاً ابحثى عن القلم حتى تكتبى الاجابة ، فقالت له سوف أقرأ الأسئلة بسرعة يا أبى ، فأجابها ليس فى حاجة الى قراءتها فقط اكتبى الاجابة . وأجاب الأب على الأربعين سؤالاً ولم يلغِ أحدهم . وكانت كل الأجوبة وافية. والآن أنت يا اليزابيث اخرجى الخمسة عشر مشكلة ومرة أخرى بدون أن تقرأها أجابها بانتظام على كل الأسئلة التى كتبها . وقال لهم أما الآن يجب عليكما أن تذهبا وفكرا فيما قلته لكما . اللّه يبارككما . ان أصحاب المشاكل هم

الذين يأتون الىّ ليس عندى وقت اليوم تعالى فى وقت آخر فخصصت الطالبتان كل معيشتهما فى خدمة الشيخ إحداهن عاشت أكثر من أربعين عامًا وفى فراش الموت رأت الشيخ جاء اليها وباركها ، لقد كان مازال حياً عندما وقف بجانب فراشها .

وعندما كانت فى المنفى ظهر لها القديس فى حلم متممًا مراسم رهبنتها وأعطاها اسم انستسيا مع ان حياتها لم تكن تنبىء بأنها سوف تسلك هذا الطريق الذى فيه قدمت نذورها الرهبانى . مرات عديدة كان الأب زوسيما يشير الى ميعاد وفاة شخص ويتنبأ به .

كان للأب احدى بناته الروحيين وهى زوجة لتاجر وكانت امرأة متقدمة فى السن وكانت تزور الأب كثيراً ، ذات يوم جاءت الى الشيخ وهى باكية اننى متعبة جداً بسبب ابنى بولس لقد ترك نفسه بلا ضابط وسقط فى خطايا كثيرة ولم يكرم اللّه . فهو لا يذهب الى الكنيسة ولا يتناول ويهين والديه ويتناول المسكرات ويدخن ويسير وهو ثملاً ويصاحب العديد من السيدات لقد تكلمت معه وحاولت ردعه وترجيته وحذرته وأنذرته واستهزأ بى واستمر فى عمل ما يشاء . لم أعد أنام الليالى وعينى لم تجف دموعها . اننى حزينة جداً من أجل أبنى الحبيب ، فإنه يهلك ، حبيب قلبى يهلك . الحياة الأرضية تمضى كحلم ما الذى سوف يعده للحياة الأبدية ؟ يمكنك أن تصدق أو لا تصدق ولكن كل انسان سوف يعطى اجابة عن كل ما يعمله لكل فعل . وأما بولس فبدأ يسب بألفاظ قبيحة ويسب ملكة السماء أم البشرية ويهين أمه الجسدية، ثم انفجرت السيدة العجوز فى بكاء مرير . وشعر الأب زوسيما بما تعانيه المرأة وعزاها وأعطاها النصيحة التى لم تكن ذات نفع كبير ولكن پول ضرب بهم

عرض الحائط وداس على القيم ولم يعيرهم التفاتاً ولم يعمل لهم أى حساب واستمر فى سلوكه المشين (الفاضح) .

ذات يوم جاءت الأم وأحضرت ابنها بالقوة . لقد تعامل مع الشيخ بوقاحة واستمر يعيش كما يحلو له يشبع كل رغبات الجسد . وصلى الشيخ لأجل پول محاولاً أن يوقظ فيه ولو شعلة للتوبة ولكنه لم ينصلح وكان ينظر الى الكهنوت بسخرية ويعامل خدام الكهنوت بطريقة خشنة واحتقار ولا يرغب فى أن يستمع لأى شىء روحى أو مقدس .

وفى ذات يوم قابل الشيخ پول فى الطريق وبدأ يحادثه بطريقة ودية ومن صميم القلب ولكن الشاب قاطع حديثه وباستهزاء رماه بروبيل (عملة نقدية) وفى الحال أعطى القديس الروبيل لأحد الفقراء وطلب من اللّه أن يقبل هذه العطية برغم الأسلوب الفظ الذى قدمت به لأجل انقاذ نفس هذا الرجل الذى ضل طريقه وغرق فى خطاياه . يا الهى ... يا ملكة السماء إعلميني ما يجب أن أعمله حتى لا تهلك هذه النفس التى لپول حتى يندم ويتوب ويرث الحياة الأبدية . أكثر من مرة طلب لأجله أمام عرش اللّه . فكشف اللّه للشيخ ان پول سوف يتوب عندما يعلم بأن موته بات وشيكاً فى شهر معيّن فى يوم محدد فشعر الشيخ بحزن لأجل المرأة وصلى الى اللّه انه ربما يكون هناك طريقة أخرى يمكن بها اصلاح الرجل ومرة أخرى كانت الاجابة مماثلة : «لا يوجد طريقة أخرى له تكلم مع أمه وحدد له ميعاد الوفاة » ومرة أخرى جاءت الأم الى الأب زوسيما وانفجرت فى البكاء وأخبرته عن سلوك الابن المعيب فكلمها الشيخ بشجاعة « أيتها الأم إذا أردتِ أن تنقذى نفس ابنك اخبرينى

بموافقتك أن أحدد وفاته خلال عام حينئذ سوف يستعيد رشده . سيصاب بمرض ثم يرجع الى عقله ويندم ويتوب ويتناول من الأسرار المقدسةويموت مسيحياً وإلا فهو لن يرى اللّه وسيهلك .

ولمدة طويلة لم توافق الأم ولكن بمرور الوقت ازداد پول سوءاً وانتقل من سيء لأسوأ وأخيراً جاءت الأم بنفسها وجاءت تترجى الشيخ أن يتم ما أشار به اللّه . حتى ولو كان بتحديد ميعاد وفاة ابنها فى السنة المعيّنة فى شهر محدد فى يوم معيّن وفى ساعة محددة داعية أن يتوب ويندم ويعد نفسه الى الأبدية وبدأت الأم تبكى ولكن ليست دموع اليأس ولكن دموع الايمان العميق وبدأ ترى الطريق واضحاً الى الأبدية .

وبدأت الأم تتحدث الى ابنها الذى لم يعير كلماتها أدنى أهمية . ولكن مرّ الوقت وجاء الوقت الذى سوف يتم فيه كلمات الأب زوسيما . وشعر الشاب المتورد بالمرض -مرض التيفوس -. وذهب الى فراش الموت وبعدها بعدة أيام كان وقت الندم والتوبة واستدعى الكاهن من الدير وأسرى الرجل المحتضر باعترافه وتناول من الأسرار المقدسة وودع كل أحد وذهب الى الأبدية فى سلام وهدوء كالأطفال طالبًا السماح من كل شخص وهو عميق الايمان مملوء بالحب ناشراً الأمل ولكن الأم المنذهلة فى الحال ذهبت الى الشيخ تخبره بوفاة ابنها . وفى دخولها الى مسكنه ذهلت إذ وجدت الشيخ يصلى صلاة على روح ابنها الراحل پول .. الآن أنت ترين يا أختى كيف تكون مراحم اللّه لقد دخل ابنك ملكوت السموات والروبيل الذى أعطى للمسكين لم يضع هباءً لقد أعطاه الراحة ونهاية كريمة . حسناً الآن لا تحزنى ولكن افرحى واستعدى لنفسك للذهاب

للمسكن السماوى لأنه قد اقترب ميعادك أنتِ أيضاً جداً . ومات پول فى نفس الشهر والساعة التى حددها الأب زوسيما .

من تعاليمه النافعة :

يجب على كل مسيحى أن يدرك ويحب الثالوث المقدس كما حثّ القديس أبناءه على ذلك ، « ان أملى هو الله الآب وملجأى هو الابن وحامينى هو الروح القدس أيها الثالوث القدوس المعظم ارحمنا » ، يا رب طهرنا من خطايانا يا سيدي سامحنا عن عصياننا ، يا روح الله القدوس افتقدنا واشفى أمراضنا من أجل اسمك القدوس الذى دُعى علينا يا الله ارحمنا يا الله غيّر وحوّل كل شىء الى فضيلة. يا الله الواحد مثلث الأقانيم الذى لا يعبّر عنه غير المتغيّر هل تجعلنى بنورك يا الله أعاين النور.

انه من الضرورى لكل مسيحى أن يعرف خصائص وعمل كل أقنوم من الثلاثة أقانيم التى للثالوث القدوس . يجب على المرء أن يدرس طقوس الكنيسة ونظم العبادة فيها وقوانينها لجمال وعمق روحانية العبادة فيها .

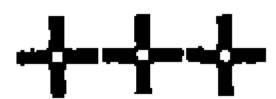
انها الرابطة بين الأرض والسماء انها كخورس مرتلين من الملائكة والبشر يجاهدون يجعلوا قلوبهم متحدة بالله (مسكن لله للروح القدوس) وأن تتفق مشيئتهم وارادة الله، فإذا رأيت نفسي نقية طاهرة فهذا يرجع الي انها خاضعة بالكامل لله . لذلك يجب على الانسان أن لا يكذب وأن لا يحتال على أحد وأن لا يسقط فى اليأس والكآبة يجب على الانسان أن يميّز بين جميع صور الكذب بالفكر بالكلام بالاشارة بالعمل بالحياة . ويجب على الانسان أن يتذكر أن الشيطان هو أبو الكذب ومن يكذب يجعل الشيطان أبيه .

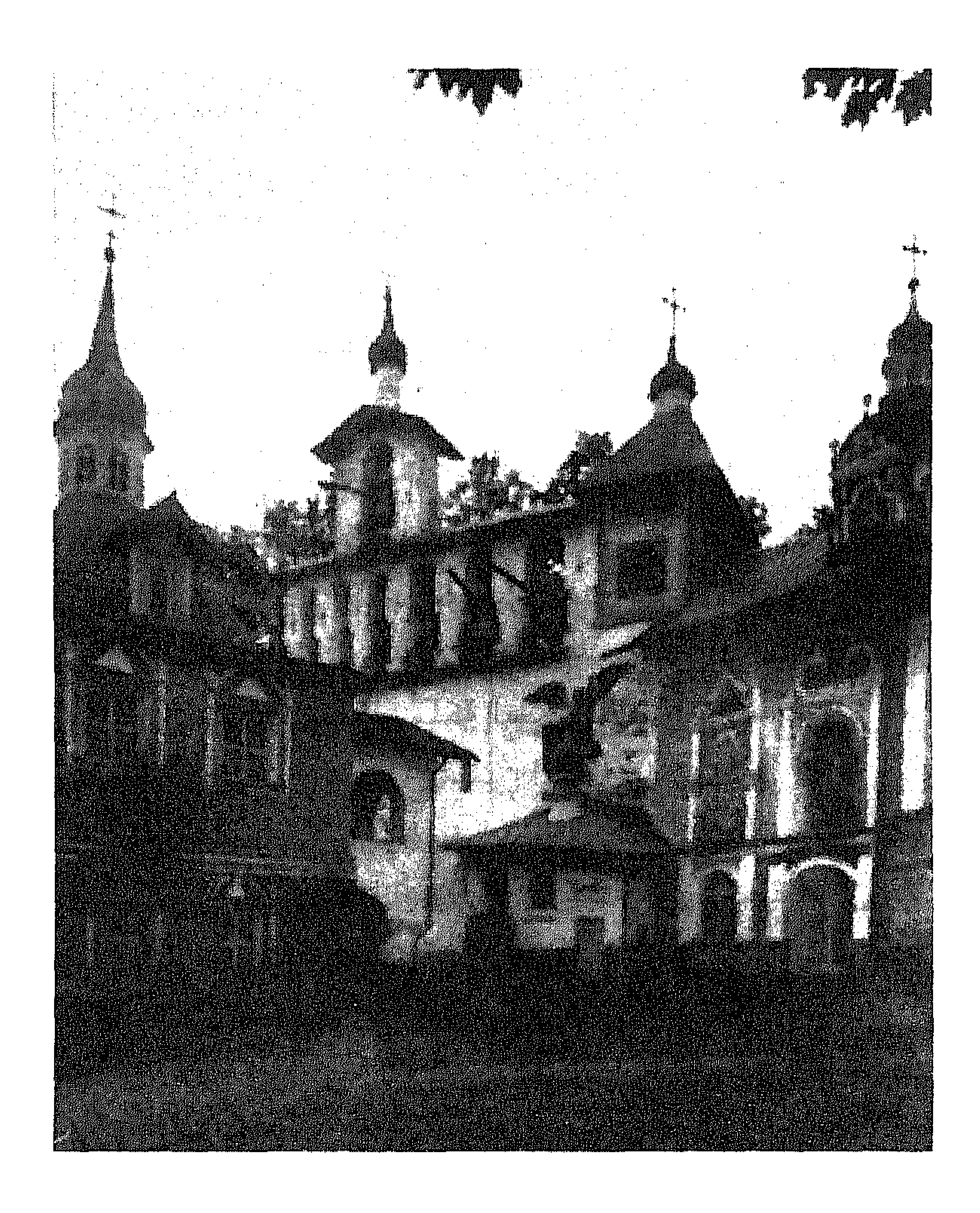
لقد روى الشيخ حادثة واحدة حية وعميقة فى القناعة والرضى والتى حدثت مع رجل بسيط لا يعلم عن الكذب شيئًا اطلاقًا . بالحقيقة هنا شرح أو وصف للروح النقية الطاهرة لانسان له قوة الطفولة والايمان البسيط وهو غير متعلم ولكن له الروح (النفس) الطاهرة النقية ويجاهد مع اللّه . انه بالحقيقة ينمو بالحكمة وقادر انه يحملق (يرى) فى السماء كما يرى الأرض . هذه الحادثة حدثت فى روسيا فى أعماق الريف السحيقة على بعد مئات الأميال من أقرب مدنه كان يسكن هناك فلاح يتيم وأمّى تمامًا، نشيطاً فى عمله ويؤديه على أتم وجه ولا يضيع وقته هباءً فى كسل أو بطالة وكانت نفسه طاهرة نقاء البللور وكان دائمًا ذو ضمير حى . هذا الانسان البسيط دائم الأصوام ويرضى بالقليل جداً ودائم السرور وحياته مملوءة بالفرح ولا يدين أحداً معتبراً نفسه أسوأ وأقل الخليقة كلها . ذات يوم سمع من صديق له انه : « لكى يخلص يجب عليه أن يحمل صليبه ويتبع المسيح » وصديقنا هذا لم يدخل الكنيسة منذ أن كان طفلاً حيث إنها كانت بعيدة جداً عن مزرعته الصغيرة فلقد تعمد فى الكنيسة منذ طفولته . لقد فهم هذه العبارة حرفيًا فقام بحمل صليب خشبى ضخم وعزم على حمله واتباع المسيح ولكن كيف ذلك وأين؟ وأى طريق يسلكه ؟ وأين يوجد المسيح ؟ ها هو الصليب ولكن الى أين يحمل هذا الصليب ؟ فترك هذا الانسان المسيحى كل ما يملك ورفع الصليب على كتفه ومضى على غير هدى يكفيه أن يمضى وقتاً طويلاً وأخيراً فى غابة كثيفة مرّ على دير للرهبان وطرق على الأبواب فسأله المكلف بالحراسة « من أنت ؟ » الى أين تذهب بصليبك هذا ؟ فقال له : إنى أحمل الصليب ولكنى كيف أجد المسيح ؟ هل يمكن تشير الى الطريق

الذى أسلكه ! فقال الراهب فى نفسه ان هذا الشخص غريب الطباع .
فأجابه : « سوف أذهب واستدعى رئيس الدير فذهب الراهب وأخبر الرئيس الذى دهش وأمر الفلاح أن يدخل اليه فأجابه المكلف بالباب انه لا يريد أن يأتى لأنه يرفض أن يترك صليبه وكيف يدخل قلايتك حاملاً الصليب فهو ضخم جداً . فخرج رئيس الدير بنفسه وسأل الفلاح البسيط وتحدث معه وعرف منه انه رجل اللّه . فأجابه الرئيس إذا أحببت فنحن سوف نساعدك فى أن تجد المسيح فنحن أيضًا ذاهبون اليه فأجابهم الرجل البسيط إذن أين توجد صلبانكم ؟ فأنتم تعرفون أن اللّه لن يقبلكم بدون الصليب ؛ فأجابه : «الصليب داخلنا نحن نحمله فى أنفسنا » هكذا أجابه الرئيس كيف يمكن أن يكون هذا ؟ سألهم الزائر الجديد وهو مندهش فرد الرئيس . سوف ترى فى أنفسنا كيف ولكن الآن أعطيك تصريح أن تظل هنا وسوف نسند اليك عملاً وهو الترتيب داخل الكنيسة خذ صليبك وضعه داخل الكنيسة . فدخل الرجل الى الكنيسة بخوف ورعدة وبدأ يرتب . ثم رفع رأسه ثم تجمد حيث هناك فوق منه بالضبط فوق الهيكل يوجد صليب خشبى ضخم وعليه تمثال للمسيح المصلوب بالحجم الطبيعى . وصديقنا البسيط لم يكن قد شاهد أى شىء مثل هذا من قبل فحملق فيه ورأى المسامير مثبتة فى قدميه ويديه اللتين تنزفان الدماء وعلى صدره كانت توجد جروح وكانت تنزف الدماء . أما الرأس فكانت مغطاة تمامًا بالدماء أما الوجه فكان محتقناً ومتورماً من آثار الضرب فتساءل من يكون هو ؟ من تكون أيها الرجل فأنت أيضًا تحمل صليبك ولا ينفصل عنك ولكن كيف يمكن أن تظل هكذا على هذا الوضع ؟ فاندفعت الدماء على قلب الرجل فشعر بالحب والأسى تجاه المصلوب المتألم وبدا كأنه مستعداً أن يتخلى

عن حياته فى سبيل أن يخدم المصلوب المتألم ويساعده . وسأله كيف تستطيع أن تظل طوال الوقت معلقًا هكذا بدون طعام ؟ تعال هنا الى أسفل سوف أقدم لك الطعام وركع القروى البسيط على ركبتيه رافعاً يديه وأخذ يصلى بدون انقطاع أنزل الى أسفل تعال الى هنا وعلمنى كيف وأين يجب أن أحمل الصليب ربما علىّ أيضًا أن أُصلب عليه ؟ وأخذ يصلى الى الواحد المصلوب لعدة أيام ليلاً ونهاراً من كل قلبه وسقط أمامه حتى ان ثيابه ابتلت من كثرة دموعه أثناء صلاته وسمع اللّه المصلوب الصلاة التى رفعت اليه من كل القلب ونزل من على الصليب وأخبر الرجل كيف يحمل الصليب حتى يمكنه أن يدخل ملكوت السموات حيث انه لن يخلص أحد بدون الصليب . وكشف اللّه للرجل عن شخص اللّه الواحد مثلث الأقانيم وسر محبة الثالوث الأقدس الأب والابن والروح القدوس فقال له أنا ابن اللّه الآب الذى فى السماء وفديت البشر من خلال الصليب لن يدخل أحد ملكوت السموات بدون صليب ولا أحد سوف يحصل على نعم (مجد) الروح القدوس داخل القلب بدون الصليب ، يجب أن تربط بين صليبك وصليب الجلجثة وتدور حولها كالأزهار وأعمال البر « العطاء » . أنصت الرجل البسيط الى كل شىء وأخذ الروح القدوس فى قلبه وكشف له اللّه انه فى خلال أيام قليلة سوف ينتقل الى السموات وبدأ الرجل البسيط يعد نفسه للرحيل ويسبح بدون انقطاع ويشكر اللّه على كل شىء وأعلن لرئيس الدير أيضًا عن الساعة التى ينتقل فيها فذرف الأب رئيس الدير الدموع وترجى الرجل أن يصلى من أجله طالباً له : « اقبله فى ملكوت السماء أريحه من الحياة الأرضية ولكن لا تأخذه وهو غير مستعد ، يا اللّه الهى مخلصنا المصلوب من أجلنا استجب صلاتى

لا تحرمنا من مجدك الذى لا يعبّر عنه ولا من الفرح الذى لا ينطق به» . فاستجاب اللّه لصلاة الانسان البسيط وكشف له الساعة التى سوف ينتقل فيها رئيس الدير وأخبر الرجل رئيس الديز عن ساعة انتقاله الذى بدأ يعد نفسه من أجل الأبدية وفى اليوم المحدد رحل الرجل البسيط الى اللّه وبعدها بأسبوعين فى اليوم المحدد والساعة المحددة لحق به رئيس الدير وانتقل الى اللّه .





الفصل الخامس
صلوات وتأملات

لقد كان الأب زوسيما يكن حباً خاصاً لملكة السماء وكان يبدو كأنما يقف خلفها لقد أوصى الشيخ أبنائه الروحيين أن يخاطبوها (يتكلموا) معها على الدوام كأم أرفع منزلة (من الأم الجسدية) وأن يأخذوا بركتها ومباركتها فى كل أعمالهم « لا تبدأوا أى عمل يا أبنائى بدون أخذ بركة ملكة السماء وعند الانتهاء من العمل (اشكروها ثانياً) سيدتنا سريعة الاستجابة وبمجرد سماعها للطلبة تسرع لتساعدنا فى كل الأمور الصالحة ».

لقد كان الشيخ يعتبر أنه من الأمور الهامة والضرورية ايقاد القنديل أمام أيقونة ملكة السماء . فإذا مرض أحد يجب أن يدهن بالزيت المشتعل أمام أيقونة المعجزات التى لوالدة الإله وهذا سوف يعطى شفاء لجسد وروح الانسان المريض . كان للشيخ أيقونتين تصنعان المعجزات تخصان ملكة السماء بداخل قلايته . ولقد حدث العديد من المعجزات بفضل هاتين الأيقونتين وشفى الكثير من أمراضهم . وعندما يتجه الشيخ الى ملكة السماء فى صلاته يتكلم معها كما لو كانت حية وانه يراها فى قلايته . وفى الحقيقة أن ملكة السماء كانت دائمًا معه فى كل أموره الخاصة وفى حياته العامة . وكانت حياته تسير تحت رعايتها وحمايتها وحث « نصح » أبناءه الروحيين جميعًا أن يقولوا يومياً فى كل ساعة « السلام لك يا أم اللّه العذراء مريم الممتلئة مجداً الرب معك مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك الذى ولدته مخلص نفوسنا » . وأن يطلبوا بلجاجة أن تباركهم دائمة البتولية مريم فى كل ساعة من حياتهم وأولئك الذين يعيشون بالقرب منهم ، وكان الأب الشيخ يتهلل فرحاً

عندما يكمل أحد من أبناءه الروحيين القانون الخاص بأم الإله القائل السلام لك يا أم اللّه العذراء ... مائة وخمسين مرة كل يوم ، لقد أعطت ملكة السماء نفسها هذا القانون ولكنه قد نُسى . لقد نست البشرية طاعة سيدتنا التى تنير لنا الطريق والفرح الذى لا يعبّر عنه ، لقد ذكّر القديس سيرافيم الشعب بهذا القانون وكان يحثهم على ترديده أثناء سيرهم فى المحيط والمؤدى الى دير ديفيفو مرددين الطلبه : « السلام لك يا أم اللّه العذراء ...» مائة وخمسين مرة أوصى تلاميذه بأن يتمموا هذا القانون ، فى قلاية القديس سيرافيم عثر على كتاب مدهش يضيف معجزات حدثت لأناس قد أتموا عمل قانون المعجزات مائة وخمسين مرة هذه البشارة المفرحة التى أعلنها رئيس الملائكة غبريال لملكة السماء .

وكان يوجد بالقرب من القديس كهنة دائمًا يكملوا قانون والدة الإله أحدهم هو د. تريتشكوف الذى كان له حب متقد واشتياق عظيم لملكوت السماوات وكان يجاهد أن يكون له نصيب فيه . وعلمهم أن لا يرتبطوا بالأرض وأن يعدوا أنفسهم بشجاعة للحياة الأبدية حيث الوجود الدائم فى حضرة ملكة السماء ، أما الكاهن الآخر وهو الأب ألكسندر جمانوفسكى الذى كان اسمه عندما ترهب (دانيال) لقد كان هادئًا ونبيلاً وكان حب ملكة السموات مهيمن عليه وكان كل أيام حياته يحب دائمة البتولية العذراء مريم وكل أبناءه الروحيين يتلون صلاة « السلام لك يا أم اللّه العذراء ... » مائة وخمسين مرة كل يوم ، البشارة المفرحة التى لرئيس الملائكة للعذراء التى ارتفعت أكثر من السيرافيم ونالت كرامة أجل من السيرافيم بما لا يقارن وكلا الكاهنين ماتا فى المنفى .

وان لم تكن معتاداً له وكان من الصعب أن تتمم المائة وخمسين مرة كل يوم اتلوها خمسين مرة وبعد كل عشرة قل « أبانا الذى ... »مرة واحدة ثم « افتحى لنا باب الرحمة التى للمحبة الإلهية يا أم اللّه المكرمة نحن نضع فيكِ رجائنا أن تنجينا من كل شرور وأن تنقذينا من كل بلية فأنت التى بك تم الخلاص لكل المسيحيين » . والذى يختبر هذا القانون العملى المعجزى فإنه دائمًا يتحدث عنه ويظل ممتناً له .

✢ الفترة الزمنية الأولى « العقد الأول » .

لنتذكر ميلاد والدة الإله فلنصلى من أجل الأمهات والآباء والأبناء (الأطفال) .

✢ الفترة الزمنية الثانية « العقد الثانى » .

عيد حضور المكرمة العذراء والدة الإله دعنا نتذكر أولئك الذين ضلوا الطريق وابتعدوا بعيداً عن الكنيسة .

✢ الفترة الزمنية الثالثة « العقد الثالث » .

لنتذكر البشارة التى لأم اللّه المكرمة لنصلى راحة لنفوس المتعبين ولعزاء المحزونين .

✢ الفترة الزمنية الرابعة « العقد الرابع » .

لنتذكر مقابلة العذراء المكرمة لأليصابات البارة لنصلى من أجل جمع شمل المنفصلين أو الذين لهم أعزاء بعيدين.

✢ الفترة الزمنية الخامسة « العقد الخامس » .

دعنا نتذكر ميلاد المسيح ونصلى من أجل الميلاد للنفس والحياة فى المسيح .

✢ الفترة الزمنية السادسة « العقد السادس » .

لنتذكر عيد ختان رب المجد والكلمات التى تفوّه بها (نطق بها) سمعان الشيخ « وأنت أيضًا يجوز فى نفسك سيف » (لوقا ٢ : ٣٥) دعنا نصلى حتى تخص والدة الإله ساعة وفاتنا وأن تقرر أن نتناول من الأسرار المقدسة حتى آخر نسمة من حياتنا ونعبر بأنفسنا حياة الحزن والشقاء .

✢ الفترة الزمنية السابعة « العقد السابع» .

نتذكر هروب العائلة المقدسة أم الإله والطفل الالهى الى مصر دعنا نصلى أن والدة الإله تساعدنا حتى نتغلب على الاغراءات التى تقابلنا فى حياتنا وأن تخلصنا من المصائب .

✢ الفترة الزمنية الثامنة « العقد الثامن » .

نتذكر اختفاء الطفل يسوع ذو الثالثة عشر من عمره فى أورشليم ومقدار حزن والدة الإله لهذا الموضوع .

دعنا نصلى ونترجى والدة الإله أن يهبنا اللّه الصلاة الدائمة (صلاة يسوع) .

✢ الفترة الزمنية التاسعة « العقد التاسع » .

دعنا نتذكر المعجزات التى تمت فى قانا الجليل عندما حوّل الماء الى خمر وكلمات والدة الإله « ليس لهم خمر» (يوحنا ٢ : ٣) . دعنا نصلى الى والدة الإله أن تساعدنا وأن لا نحتاج الى أى شىء .

✢ الفترة الزمنية العاشرة (العقد العاشر).

دعنا نتذكر والدة الإله واقفة أمام الصليب والحزن يعشى قلبها كالسيف فلنصلى لوالدة الإله لتعضد نفوسنا وتطرد اليأس والضغوط عنا .

✢ الفترة الزمنية الحادية عشر « العقد الحادى عشر» .

دعنا نتذكر قيامة المسيح وأن نسأل العذراء ونصلى أن يقيم اللّه نفوسنا المائتة ويعطينا القوة فى جهادنا الروحى .

✢ الفترة الزمنية الثانية عشر « العقد الثانى عشر » .

نتذكر صعود المسيح حيث لم تزل والدة اللّه موجودة دعنا نصلى ونطلب ملكة السماء حتى ترتقى نفوسنا وترتفع من الاهتمام بالأرضيات ومسرات العالم وأن نجاهد من أجل السمو الروحى .

✢ الفترة الزمنية الثالثة عشر « العقد الثالث عشر » .

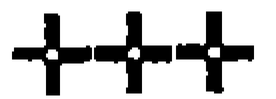
فلنتذكر العليّة حيث حل الروح القدوس على الرسل ووالدة الإله ولنصلى « قلبًا نقيًا اخلق فىّ يا اللّه ، وروحاً مستقيمًا جدده فى أحشائى لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى .. » مزمور ٥١

✢ الفترة الزمنية الرابعة عشر « العقد الرابع عشر » .

دعنا نتذكر التقليد الذى للمباركة والدة الإله وأن نسأل من أجل السلام والهدوء .

✢ الفترة الزمنية الخامسة عشر « العقد الخامس عشر» .

دعنا نتذكر المجد الذى لأم اللّه حيث توّجها اللّه بعد انتقالها من الأرض الى السماء ونطلب من ملكة السماء ألا تتخلى عن المؤمنين على الأرض وترفع عنهم كل شر «اسبلى ظلك السريع المعونة وعنايتك الحافظة الكريمة » .





الفصل السادس

مع الأبناء الروحيين

كما ذكرت قبلاً ، حتى يمجد البشر اللّه مثلث الأقانيم وحتى يتضرعوا ويتشفعوا بملكة السماء فى كل احتياجاتهم ويلجأوا اليها فى أحزانهم ومشاكلهم وأيضاً فى أفراحهم . انه من الضرورى أن نبجل ونسبح اسم اللّه . ان الرسل والقديسون يصنعون المعجزات باسم المسيح « اسم اللّه » ان اسم اللّه ربنا يسوع المسيح أقوى سلاح ضد العدو الشرير وضد الخطية والميول الرديئة (الغضب ، الحسد ، الشهوة ...) .

ان الشياطين تنحل قوتهم « يهزمون » باسم اللّه (يسوع المسيح) فإن اللّه ذاته موجود فى كل مكان . من وقت لآخر نلتزم بالصلاة الدائمة التى بدونها من الصعب إمتلاك الروح القدوس .

اكتسب عادة ان لا تبدأ أى عمل بدون صلاة . ان كنت تعمل فى تجارتك قبل أي شيء فلتأخذ بركة ملكة السماء، ردد صلاة يسوع تشعر بوجود الله فى قلبك أثناء عملك فهو يرى كل شيء حتى أفكارك ومشاعرك ، حاول أن تتحد بالصلاة فى كل دقيقة فى حياتك وفى كل تلامس مع المادة ، ان الصلاة تعطى ميلاداً للاتضاع وبدون اتضاع لا يوجد خلاص . عندما تنتهى من الصلاة أشكر الله وأشكر ملكة السماء .

أبنائى ... فى كل مرة تصعدون السلم أو تهبطون ترددون فى أنفسكم الصلاة الدائمة « بضع كلمات » لا تتلون صلاتكم بعجلة « بسرعة » ان الصلاة شيء صحى للروح وأيضًا مفيد للقلب « دعنا لا نصارع الهواء » « نضرب الهواء أو نمسك الهواء » كل كلمة مقدسة تنشيء قوة وكل كلمة من كلمات الصلاة تقربنا من الله حتى ولو أردنا أن نقول شيئًا عالميًا «

أرضي » يجب أن نستمر فى صلاتنا القلبية فإذا لم يعتاد أحد علي الصلاة الدائمة التى في القلب وهو مازال فى مرحلة التحول ، عليه على الأقل أن يتذكر أن يتكلم فى وجود الله . أبانا الذى فى السموات الموجود « الخاص » هنا يسمع ويرى كل ما يقوله وما يشعر به يجب أن لا ينسى أحد ان الله موجود فى مكان . ان نسيان ذلك يعتبر خطية .

ان الشخص الذى يريد انشاء الصلاة الدائمة فى قلبه عليه أن لا يقول أى شيء زائد عن اللزوم أو باطل ولا ينزعج وان لا يعمل أى شيء يميل اليه بدون فكر ولكن فى كل شيء يحاول أن يعمل مشيئة الله .

تكلموا مع اللّه بأقصى ما تستطيعون يا أبنائى فى صلاتكم الخاصة ان هذا يطهر وينقى القلب ويقوى الفكر ويعطى قوة فى الأعمال حتى تتمم ارادة اللّه. عندما نصلى صلوات الصباح والمساء لا تنسى أن الصلاة محادثة مع اللّه. لذلك عليك أن تخاطب اللّه بما يليق باللّه الرحوم الرؤوف الجواد . ربما يكون هذا كل ما سوف تعمله ولكن ليس كل ما يجب عمله .

بعد الصلاة بانتباه عظيم يجب على المرء أن يقف على الأقل بضع دقائق بأفكار ومشاعر هادئة منتظراً أن يفهم بقلبه أو يسمع الاجابة .

هذه الدقائق القليلة سوف تعلّمك .

أولاً ثلاثة دقائق ثم خمسة ، ثم سوف ترى بنفسك كم يحتاج كل شخص . اطلب منك أن تنفذ وهذا سوف يقوى ويرسخ صلاتك الدائمة وان تنبذ « تنكر» مشيئتك الخاصة وسوف تعطيك الشوق فى أن تمتلك الروح القدوس فى قلبك .

الصلاة بداية للحياة الأبدية انها الباب والمدخل لملكوت السموات انها الطريق الذى يقودنا الى حيث تتحد بالله .

بدون الصلاة يموت الانسان ، يموت الانسان الذى لا يصلى بالتدريج حتى انه لا يدرك ذلك ، يا أبنائى حاولوا أن تكتسبوا عادة الصلاة الدائمة اطلبوها بغيرة وحرارة من والدة الإله التى تطلب عنا بدون فتور .

كما أخبرتكم أكثر من مرة كونوا شجعان حتى عندما يسمح اللّه بأن تمروا بتجارب صعبة .

ان الهوى والغضب يهزمان الانسان ، فتضعف الصلاة وحتى الرغبة فى الصلاة تنعدم .

ان كل انتباه الشخص يلتهم بالرغبات الكثيرة والهوى والانفعالات والغضب ... بالضبط كما لو كانت عمداً . فالشهوات الداخلية والمشاكل الخارجية التى تصدم بالانسان تضعفه ثم يسقط فى اليأس ، واليأس يقتل كل شىء مقدس .

عندما تصلى كمثل الأبطال فى الايمان فأنت سريعًا تصلب نفسك على الصليب كمثل أولئك الذين فى الأزمنة القديمة الذين جاهدوا ضد مشيئتهم ورغبتهم .

ان الشيخ زكريا كان أحياناً يخرج الشياطين ممن عليهم شياطين فى حضورنا فكان يصلى أولاً قبل كل شىء كما لو كان مصلوباً على صليب .

ان من المستحيل وصف كل المعجزات أو العظات التى للأب زكريا حيث انها كثيرة جداً .

لقد بيّن كيف تتنوّع « تختلف» أنماط المحبة التى للمسيحيين التى تعتمد على الضعف البشرى ومقدار التمييز الذى نحتاج ، حتى نحب كل شخص بالحب الذى يساعده على خلاص نفسه ،

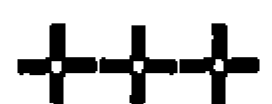
ولكى نحصل على فضيلة التمييز علينا أن نملك « ندرك» الصلاة الدائمة .

لقد قال الأب زوسيما « اننى أومن انه بالوقوف الدائم المستمر أمام سيدتنا ملكة السماء بدون عمل شيء ولكن أخذ بركتها فإنك سوف تحصل على الصلاة الدائمة وهذا الحب الذى لكل شخص الذى يرضي ربنا يسوع المسيح والذي أريد أن أذكركم أيضًا انه فى نهاية أى عمل لا تنسوا أن تشكروا دائمة البتولية والدة الإله بكل قلوبكم .

فى ذات يوم عندما كان الشيخ جالسًا فى قلايته نظر الى جانبها المقدس حيث توجد الأيقونات . لقد كان ينظر وهو مرتعب لقد كان يوجد أمام الأيقونات شيطان بوجه كريه مرعب وشكل كجوز الهند لقد كان واقفاً وهو يتلو بمزامير داود النبى بسرعة كبيرة جداً فقال له الشيخ القديس : ماذا تفعل بالتأكيد أنت لا تصلى . فقال له :أ نا الصلاة المعيبة (المهينة) هكذا تمتم الشيطان ثم اختفى .

لقد حذرنا الأب أن نصلى كيفما اتفق وبأى كيفية ، بينما القلب منغمس فى المشاعر بعيد كل البعد عن روح الصلاة وأفكارنا تتحوّل كما تحب .

ان الصلاة ليست نشاطًا ميكانيكيًا ولكنها مقابلة مع الله ومحادثة معه « صلى باتضاع ومخافة الله بخشية حتى لا تتحوّل صلاتك الى اهانة .



الفصل السابع

أخيراً وبعد تجربة الألم تقوص القديس تمامًا واعتلت صحته واضطر أن يسير فى الهواء الطلق وكنا نزوره من وقت لآخر .

كم كان يحب الطبيعة ! لقد أحبها بثلاثة طرق مختلفة لقد كان ينظر اليها بنظرة الملائكة وكالأطفال وبحكمة الشيوخ .

فعندما كنا نسير معه فى الغابة كنا نشفى بقوة صلاته دون التفكير فى أى شىء أرضى كما لو كانت صفوف من الملائكة محيطة بنا .

لم يكن يتكلم الشيخ إلا نادراً عندما يكون فى وسط الطبيعة ، ولكن عندما يقول شيئًا فكان يتكلم كالطفل السعيد وببساطة حتى ان عمره الزمنى (كبر سنه) لم يكن له أثر .

ذات مرة كنا نسير فى الغابة قال القديس أنه لمن الجيد أن نجد بعض نباتات عش الغراب البيضاء ولكن على ما يبدو انه لسبب ما لا يوجد ، سوف أطلب من اللّه أن يرسل اثنى عشر واحدة كعدد تلاميذه وواحدة تكون أجملهم فى وسطهم حتى نتذكر المخلص وهو مع التلاميذ الرسل القديسين .

لقد مشينا ومشينا ولكن لم يكن هذا النبات بعد .

ثم استضاء وجه الشيخ وكان يصلى طوال الوقت وفى خلال نصف ساعة ولدهشتنا وصلنا الى مجموعة مرتبة جميلة تسترعى الانتباه من عش الغراب الأبيض وفى وسطهم واحدة كبيرة بيضاء بحجم غير عادى وجمال لا يوصف . وحولها اثنى عشرة واحدة أصغر منها مرتبة وجميلة أيضًا فنظر اليها الشيخ وقال سامحنا يا اللّه لقد التمسنا طلبنا كالأطفال ولكن مراحمك أعطتنا تغذية .

حتى فى ذلك كانت الطبيعة بالنسبة للشيخ كمثل كتاب مقدس مفتوح عندما ينظر الى السماء فإن القديس يكشف لنا كالحكماء محبة الله الواحد المثلث الأقانيم . لا يستطيع المرء أن يصف كل شيء عن الأب زوسيما .

لقد أعطانا الكثير بحياته وتعاليمه وصلاته .

فى بعض الأحيان كان الشيخ يقوم فى خلال الليل بملء بعض الزجاجات بالماء فى هدوء ، حتى لا يستطيع أحد أن يسمعه أو يراه ويبدأ فى غسيل الأرض فى مسكنه بعد أن يمضى الزوار وعندما تأتى كريشاتكا (راهبة عجوز تأتى لخدمته) الى مسكنه فى اليوم التالى كانت تعاتبه قائلة « ما هذا ؟ انك مريض وانه من الواضح أنك أمضيت الليل كله فى غسيل الأرض .

اننى أستطيع أن أغسلها أحسن منك فى خلال ربع ساعة فينظر اليها الشيخ باشفاق ويقول فى وداعة انك لا تستطيعين أن تغسلى الأرض كما أفعل أنا كما ترين .

أنا أعرف كل من يأتى لزيارتى وأصلى من أجلهم ، وبعمق أكثر من أجل الآخرين وأزيل القذارة من الأرض وأسأل اللّه أن يزيل الدنس من نفوسهم حتى يقوم المسيح فيهم فى هكيله الذى فى نفوسهم حتى يستضيئوا أكثر من الشمس بكل الفضائل .

انه ليس من السهل علىّ أن أنظف الأرض فأنا أنحنى الى أسفل وأنا متألم وأغسل أشعر بألم . لعل الله يحل مشاكلهم ويمحو تلك الأشياء التى لا تسرّه من نفوسهم . وأحيانًا أبكى على هذه النفوس وأصلي من أجلهم وأمسح الأرض بالماء وأمزجها بدموعى ... إذا ما وجدت ان مثل هذه

الصلوات ضرورية لماذا تضغطين علىّ ؟ اننى أبكى من أجل خطاياي أيضًا وأعد نفسى الى الأبدية .

وأخيراً لازم قديسنا الفراش حيث انه أصبح مريضًا حتى فُقد الأمل فى شفائه .

لقد استعد بفرح للأبدية وأُعلن له انه سوف ينتقل اليها خلال أيام .

فقرأ الشيخ صلوات الجناز على نفسه ورتل ألحان القيامة .

وبالكاد كان صوته يسمع . وفجأة شعر بقلبه ان الأسقف تريفون فى حاجة اليه حتى ان اللّه أطال حياته ومنحه مهلة.

ما هذا ؟ لماذا ؟ وحملق الشيخ وهو يصلى ثم قال « لماذا يكون الأسقف تريفون فى حاجة شديدة الىّ إنى أعتقد اننى لا أستطيع أن أتصل به حتى يقول لى لماذا كل هذا . ثم أخذ الشيخ المسبحة ووضعها على وجهه .

وقال « أجعل المسبحة الآن مثل تليفون » . تريفون يا صديقى تعالى الىّ فى الحال اننى على وشك الموت .

ان قلبى يحدثنى انك مازلت فى حاجة الىّ دعنى أتكلم معك .

فما كان من صاحب المسكن إلا أن نظر اليه فى سخرية وقال : الآن لماذا أنت تهرج وتتصرف كالمجانين ؟ وتستعمل المسبحة كالتليفون هل أنت طفل تلعب بلعبة من الألعاب ؟ من الذى سيسمعك ؟ نعم حتى ولو استدعيت المطران حقاً فإنه سوف لا يأتى . أجاب الشيخ بتواضع لقد استدعيته وسوف ترى ماذا

سيحدث وفى خلال نصف ساعة دق جرس الباب ولما فتح الباب وجدوا الشماس التلميذ والمساعد للمطران قد وصل وأخبرهم بأن المطران فى طريقه الى الشيخ . وكان لدهشة صاحب المسكن لا حدود لها وكان اللقاء مؤثراً جداً وكانت عينىّ المطران مملوءتان بالدموع وصلى لأجل شفاء الأب زوسيما ثم خاطب الشيخ قائلاً : اننى محتاج اليك ، هل من الممكن أن يطيل اللّه من عمرك ، هل من الممكن أن تنتقل الى العالم الآخر بعد منى حتى تصلى على روحى عندما انتقل من آلام هذا العالم .

ثم يا أبى قم وحاللنى . فرد عليه الأب زوسيما قائلاً لا أستطيع ياعزيزى الأسقف . اننى لا أستطيع حتى ان أرفع رأسى من على الوسادة ... لا أستطيع .

فقال له المطران قم كأنك فى خدمة فأقام الشيخ نفسه بصعوبة وتساند على الأسقف وذهب حيث الأيقونات ثم حالل ضيفه العزيز .

ثم رقد مرة أخرى ثم أصبح أكثر سوءاً .

وانفجر المطران فى البكاء وترجى رئيس الحياة ربنا يسوع المسيح أن يشفى الشيخ .

وكان يتكلم مع اللّه بكل قلبه وكانت صلاة حارة وتشفع أيضًا بملكة السماء والأرض كلية القداسة والدة الإله لعلها تدفع ابنها بتوسلها أن يرجىء وفاة الأب زوسيما بواسطة معجزة ثم ودعا بعضهما ثم رقد الشيخ على الفراش .

لقد تأثر الأسقف تريفون باخلاص ووفاء الأب زوسيما لواجبه ولكنه كان منزعجاً وقلقاً على مرضه الخطير ثم ذهب من عنده الى

كنيسة الصعود ليقوم بالخدمة وعند انتهاء الخدمة خاطب الأسقف الشعب قائلاً : اخوانى وأخواتى انى أرجوكم أن تصلوا من أجل المريض الأب زوسيما .

ليس كلكم يعرف الأب زوسيما ولكنني سوف أخبركم من يكون هو :

في شبابى عشت فى بطرس برج برتبة أرشمندريت وكنت فى حالة سيئة حتى اننى بدأت أترك خدمتى وأبدأ حياة مختلفة تماماً كيفما كان .

فقد اقترحت أن أقوم بتعليم أحد رهبان دير الثالوث الأقدس الذى حضر الى بطرس برج لجمع تبرعات ووجدته شخصًا غير عادى يبدو لكم انه لا يسترعى الانتباه ولكننى أبديت رغبتى فى التعرف عليه .

وذات ليلة تحادثت معه وفى اليوم التالى كانت كل مشاعرى وأفكارى قد تغيّرت تمامًا ويرجع الفضل له فى أنكم ترون شخصى الضعيف مطراناً باسم تريفون وبعد أن ألقى المطران كلمته ركع كل شعب الكنيسة على ركبتيه ثم قام المطران بخدمة صلاة من أجل شفاء الأب زوسيما من مرضه الخطير .

كم من الجهد وكم كان المطران حاراً فى صلاته قائلاً انه المرشد الأمين الذى أعطاكم المطران تريفون ويرجع اليه الفضل أن يخرجنى من ظلام الاغراءات وأدخلنى الى نور وقوة المحبة . الآن هو يرقد على فراش الموت . هذا الشيخ الوقور العظيم الذى يسكن فى قلبه ألوف من المحتاجين والبائسين انه قريب من الموت اركعوا على ركبكم مرات ومرات وصلوا بقلوبكم من أجل ذو الفضل علىّ ذو الشيبة المهيبة المريض الأب زوسيما (الأب زكريا) .

ان خدمة مجموعة المصلين صنعت معجزة ففى خلال أيام قليلة شعر الأب بتحسن وبدأ يتحسن وعندما علم بالصلاة التى تمت من أجله فى الكنيسة ابتسم الأب زوسيما وقال بتواضع لقد سمعت هذا لقد سمعت بالمعجزة .

ثم قال الأب زوسيما « لقد حان الوقت لينطفىء سراج الشمعة يا تريفون» لقد قال الشيخ ذلك لأنه علم ان حياة الأسقف الأرضية سوف تنتهى قريباً بل قريباً جداً .

وعندما شعر بمرض الأسقف الخطير صلى الأب زوسيما من أجله بكل مشاعر الود والمحبة.

ولما رحل صلى من أجله صلوات خاصة قوية . وأمرنا نحن أبناءه الروحيين أن نذكر الأسقف وكل أبناءه الروحيين ومعارفه وأقاربه .

لقد أرسلنى الشيخ الى قبر الأسقف تريفون ولم يكن هناك ورد حول المقبرة حيث ان الاسقف أوصى بعدم تزيين المقبرة بالورود وأحاط الجثمان جمع كبير تملأ العبرات « الدموع» عيونهم ودفن الأسقف فى مقابر الألمان. ان صديقى الأسقف تريفون طلب منى ان أعيش بعد موته سنتين أخريين . حسناً ليكن ذلك من أجل صلواته المقدسة .

ومكث أبينا العزيز معنا على الأرض سنتين أخريتين . ثم ازداد ضعفاً ولكنه كان غارقاً فى الصلوات .

كان يرشد النفوس الى اللّه كما كان قبلاً ويقودهم للتوبة التى أحيتهم وجددتهم من خلال صلواته المقدسة .

وقد حاول أن يجعلنا نحب ونتذكر الثالوث القدوس بأكثر عمق

وأكثر قوة وأن نجاهد من أجل أن يملك الروح القدوس على قلوبنا .

وفى أحد المرات كان عدد كبير منا اجتمع معاً وبدأ الشيخ يعلمنا قائلاً كيف نبدأ جهادنا الحار ضد الأوجاع ، العواطف ، الهوى ، الغضب ، الانفعال ، الرغبات ، والخطايا التى حدثت بسببها ؟.

يجب أن نخاف اللّه « لانها بدء الحكمة » لأن الرجل الحكيم هو الذى ملك عليه الروح القدوس ويحاول أن يكمل كل الوصايا التى للمسيح . ويخشى أن يغضب المخلص بالخطية .

وإذا كان حكيمًا لهو أيضًا متواضعًا كلما إرتفع الانسان فى الروحيات كلما ازداد رؤية فى أن يرى مقدار عظمة اللّه.

ان من أعظم القديسين يوحنا ذهبى الفم قال فى صلاته قبل التناول « اننى أومن وأعترف انك أنت بالحقيقة المسيح ابن اللّه الحى أتيت الى العالم لتخلص الخطاة الذين أولهم أنا» .

قد يقول قائل لى « إذا لم تكن خاطئًا فأنت لا تحتاج لأن تعترف ولا أن تتوب » يا أبنائى ان هذا فكر سيء وهو يعود بالانسان الى الخطية لا يوجد أسوأ من الخطية لأنها تعطى فرصة للشيطان « اهربوا من الخطية جاهدوا بالاستعانة بملكة السماء ضد كل شر » وكلما تقتربون من الله كلما تفتحت عيون الاتضاع داخلكم وسوف تصلوا الى حالة من التوبة العميقة الدائمة بمداومة صلاة يسوع « يا ربى يسوع المسيح ابن الله ارحمنى أنا الخاطئ » .

سوف تمكث بالقرب من اللّه وسوف يعطيك محبة سمائية بكل أحد حتى لأعدائك .

أحياناً يمر الانسان بتجارب صعبة ، فبدلاً من أن يجاهد فى أن يتحد باللّه بالاتضاع والخضوع للّه يتحوّل الى العجرفة والغطرسة

وينزلق فى هوة الاغراء بالثروة أو بالشهوة ويدين الآخرين معتبراً نفسه قديساً .

والبعض يتصور انه قديساً ، فيسمح اللّه لمثل هؤلاء بالعقاب ، وكوسيلة لتعليمهم أن يسقطوا فى بعض الخطايا الصعبة والمخجلة .

وتحت الحمل يبدأ الانسان يرجع الى نفسه ويندم ويتوب وينصلح تماماً .

بالتأكيد هذا ما يحدث مرات كثيرة ، اللّه يقاوم من يسلك مثل هذا السلوك .

مرة أخري أنا أرجوكم وأوصيكم أن تخافوا من الانزلاق فى الخطية .

لا تصلبوا المخلص المرة تلو المرة بخطاياكم . اكسبوا رضاء ملكة السماء فى كل شىء والله سوف يرسل لكم المعونة أول بادءة النعمة الاعتراف بخطاياكم .

انتبه « اصغ » الى ضميرك الذى هو صوت اللّه ، صوت ملاكك الحارس يجب أن تحذر من أن لا تعير ضميرك التفاتاً لأنك سوف تفقده .

سوف يطمس « يدفن » وتنعدم قوته ثم لا يصبح صوت اللّه .

ان الحكمة بدون نعمة تعتبر حماقة وجهل وأنت سوف تفهم ذلك جيداً إذا عشت فى الله ومن أجل الله تذكر كلمات الأب امبروس « أينما توجد البساطة فهناك مئة ملاك أو أكثر» .

ولكن ان لم توجد الحكمة فلا يوجد شىء ، اجعل هدفك أن تحيا بسيطاً ، التى توهب فقط عن طريق الاتضاع الكامل .

هذا لا يمكن شرحه فى كلمات قليلة ولكنك سوف تفهم ذلك من خلال الممارسة « الخبرة فقط » .

الانسان يستطيع أن يعيش فى اللّه ونعيش باللّه بالاتضاع والبساطة فقط وهدف الانسان البسيط الذى يحيا حياة الاتضاع والقداسة ، الحب ، المحبة الكاملة تشمل كل شىء ، بالصلاة ، عمل الرحمة مع الذين لا قوة لهم ، والمرضى المخالفين أو القديسين .

اجتهدوا فى أن تملكوا الفرح السماوى حتى تسعدوا مع الملائكة بتوبة كل انسان قد ضل طريقه .

لذلك يا أبنائى حافظوا على أعظم هدايا الله الذى هو ضميركم .

انه يربطكم بالسمائيين فهو يؤدب « يهذب » ضعفكم ومشيئتكم الخاطئة بمشيئة الله كلى القدرة يا أبنائى الأعزاء يجب أن تقتنوا ضميراً نقياً تشفعوا من أجل هذا بملكة السماء .

يقاوم الله المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم قوة « مجد ونعمة » وأيضاً ضعوا فى قلوبكم كما علمنا المخلص « تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » (متى ١١ : ٢٩) .

نظر الشيخ بعمق ثم قال اننى متعب يا أبنائى سوف أذهب وأنام .

الان اذهبوا الى منازكم وليبارككم اللّه وملكة السماء .

سوف نتقابل هنا مرة ثانية لماذا تنظرون الىّ بحزن ؟ سوف أمكث فترة أطول على الأرض فلا تنسوا كلماتى .

وبدا الشيخ كأنه قد انصهر تماماً فقد ازداد ضعفاً على ضعف ومع ذلك مكث يستقبل كل من يأتيه بحب كبير وعقل يقظ معزياً ومشجعاً ومعلماً إياهم .

أتت اليه الإبنة الروحية للقمص فلاديمير تبكى بمرارة وبدأت تشكو له لقد مات أبى الروحى . الآن لا يوجد لى أب روحى لقد تركت الجميع وأعيش وحيدة . فإن الأب فلاديمير الذى كان يعزينى لم يعد موجوداً .

لقد قاطع الأب اقتضابها والألم يعتصر قلبه قائلاً : من هو الذى لم يعد موجوداً انه الآن أكثر حيوية مما كان فى حياته المؤقتة على الأرض وقد استعد لينتقل الى الحياة الدائمة « الأبدية » فهو موجود أمام عرش الله وهو يستطيع أن يرى المدافعة والمحامية عن المسيحيين (العذراء أم الله).

وهو فى شركة من الملائكة والقديسين « فكيف انه لم يعد يرى وكيف جرؤت أن تقولى مثل هذه الأكذوبة .

الآن فهو يستطيع أن يرى أرواح أبناءه مهما كانت ويعرفهم بطريقة لا توصف أكثر مما كان على الأرض وهو يتكلم عنهم مع ملائكتهم الحارسين والمحامين « المدافعين » وعلى استعداد أن يعلم أبناءه الروحيين أن يتحدوا معه إذا ما عادوا اليه .

ولكن تقولى : انه لم يعد موجوداً وانك وحيدة كيف يكون هذا ؟ هل تريدى أن تنسين أو أنت نسيتِ فى يوم الدينونة سوف يقول : هاأنذا والأولاد الذين أعطيتنى إياهم.

لقد كانت صامتة وتفكر بعمق وجلست لمدة طويلة الى حدٍ ما فى مسكن الشيخ تتأمل فى الأيقونات وكان واضحاً أن شيئاً خطيراً « هاماً » يحدث في داخل نفسها وكان الشيخ يراقبها بود وبدون شك كان يصلى من أجلها ثم نهضت الزائرة وسارت الى الشيخ وقالت : اسمح لى أن آتى لأتبارك بك وأكلمك غداً أن نفسى تشعر بالارتياح والتحسّن ... فأجابها الشيخ يا عزيزتى فلتأتِ غداً وبعد إن أخذت موافقته انحنت أمامه ثم خرجت .

ازدادت صحة الشيخ سوءاً « من سيء الى أسوأ » حتى ان وجهه ظهر عليه آثار المرض بوضوح وأصبح الشيخ كالخيال وأصبح نحيفاً جداً ولكن عينيه كانتا قد احترقتا بنيران المحبة الإلهية لكل المتألمين والمرضى والمنبوذين والمخالفين .

ورقد الشيخ على الفراش صريعاً لسرطان الدم فى جميع أعضائه الداخلية ورقد على الفراش وكان لونه أبيضاً كالملاءة ومذعناً بكل اتضاع فى جعل نفسه لأجل الآخرين وكان غارقًا فى الصلوات تماماً .

وبأخذ موافقته لقد استعديت للتناول بالصيام مع بعض الآباء الروحيين الآخرين وأصبحت أعجب بواحد منهم على وجه الخصوص وهو الارشمندريت (سيمون) الذى من الدير دانيلوف الذى وهب محبة كبيرة لنفوس البشر وكان مثقل بأعداد ضخمة من البشر لمزاولة سر الاعتراف . ثم ذهبت لأبينا العزيز الأب زوسيما ثم ركعت بجانب فراشه وترجيته أن يصلى من أجل الارشمندريت سيمون أو يمنحه البركة حتى يستطيع أن يجتهد «يساعد» أبناءه الروحيين مهما كانت الصعوبات والاغراءات حتى ان ملكة السماء تساعده فى كل شيء ان الشيخ نظر الى طلبى « التماسى » بجدية وذكر الأب سيمون فى صلواته وصلى من أجله وأعطاه البركة ولأكثر من هذا فقد أرسل اليه أيقونة عن طريقى كعلامة لسروره والنعمة التى وهبت اليه عن طريق هذه البركة أعطيتها للأب سيمون فسر بها وقال : « لقد أعطانى الشيخ قوة عن طريق هذه البركة » .

ولما علم الأب سيمون منى أن الشيخ على وشك الموت وأنه فرض علىّ الكثير من الوصايا والأوامر التى لا يستطيع أحد أن يلغيها بعد

موته ، شعر بالأسف لضعفى وعجزى وقال : « اذهبى الى الأب زوسيما واسأليه أن يخفف بعض الواجبات والوصايا والأوامر التى كلفنى « أمرنى » بها لأنك لن تستطيعى الجهاد من أجلها لقد أطعت الأب سيمون وذهبت الى مسكن الشيخ وسجدت ثلاث سجدات أمام الأيقونات كما أمرنا أن نفعل عندما نصل الى المنزل حيث توجد الثلاثة أيقونات ثم صعدت حيث يوجد القديس وأخذت بركته وأخبرنى أن أجلس على مقعد بجانب الفراش وفجأة بدأ الكلام : « يا ابنتى اننى أترجاك وأتوسل اليك أن لا تبطلى أى واحدة من التعليمات التى أعطيتها لك اننى لست أنا الذى قلتها بل اللّه لأنها مشيئته المقدسة لك فلتعطيك ملكة السماء البركة حتى تتممى كلها.

لقد دهشت لبصيرته وبعد أن قال هذا لم أستطع طبعًا أن أقول كلمة واحدة عن الغرض الذى أتيت من أجله .

كل شىء تقرر كمشيئة اللّه ومباركة ملكة السماء على الرغم من ضعفى الشديد وعدم استحقاقى وبمساعدتهم استطعت أن أتمم ما وضع على عاتقى من أجل صلوات قديسنا الارشمندريت لابس الاسكيم أبينا زوسيما .

لقد أصبحت الأمور صعبة وسيئة للغاية بالنسبة للشيخ المريض ولم يكن له سلام على الاطلاق ولا خلال مرضه الفاتك فمرات عديدة كان يأتى اليه أفراد من .K.G.B (إدارة المؤن الحربية الخاصة بالشئون الداخلية والتى كانت تريد اعتقاله ولما رأت أنه قريبًا من الموت تركوه وحددوا اقامته فى المنزل حتى لا يجرؤ أن يستقبل الناس هناك) .

ونحن أبناؤه الروحيين حاولنا أن نشق طريقنا اليه نادرًا جداً فى

ذلك الوقت وكانت مالكة الأرض تخشى أن تدعنا ندخل وبجانب هذا كان هناك أسباب كثيرة تؤلم بعمق قلب هذا القديس الذى أحب كل البشر .

على أى حال لقد كنت محظوظة جداً فى الذهاب الى الشيخ قال لى : « اننى أتذكرك تماماً فى صلواتى » .

لقد سألته عن موافقته للذهاب جنوباً الى بولتافا لفترة وجيزة لأرافق شخصاً مخلصاً كان فى كرب عظيم . وافق الشيخ لأجل محبته لأعمال البر ولأجل وصية المحبة التى امتزجتا فى قلبه وبدأ كأنه يتأمل فى نفسه عندما وافق على طلبى ليقول شيئاً لا يعبّر عنه بالكلمات لقد سجدت ثم غادرت ولكن قلبى كان يعتصر ألماً ولكنى لن أغيب كثيراً سوف أعود أرى الحبيب مرة أخرى ثم إذا لم يسمحوا لأحد بالدخول اليه ... لهذا السبب كنت أتنهد باكية لقد كنا فى بولتافا . وكان صديقى المريض مسروراً جداً ولكنى كنت أشعر بالبؤس وعدم الاستقرار والتعاسة لقد قاومت وانتظرت جوابات أن تأتى من موسكو .

النياحة :

وأخيراً لقد حصلت على جواب من .L.M . تخبرنى ان أبينا العزيز الأرشمندريت لابس الاسكيم زوسيما قد مات ودفن لما قرأت هذا اكتنفنى حزن شديد ليس بسبب انه انتقل الى الحياة الأبدية حيث يكون أحسن كثيراً مما كان على الأرض ولكن من أجل اننى ذهبت قبل أن أرى لحظاته الأخيرة على الأرض ولم أكن مع أبنائه الروحيين على الأرض لما كان بالجسد فى مسكنه ولم أكن بالكنيسة أثناء الجنازة ولم أقبّل يديه قبلة الوداع ولم أقل له وداعًا ، ولم أذهب الى قبره ولم أصلِ معه عندما كان بالجسد راقداً فى كفنه ولم

أستطع الكلام وخرجت بنفسى وبكيت بمرارة وقرأت المزامير .

لقد رحلت ولم أقول لك وداعاً يا أبى العزيز المحبوب من يستطيع أن ينسى هذا .

ظهوره بعد النياحة :

وفجأة رأيت ان الباب فتح والأب زوسيما دخل بملابس الكهنوت وجاء قاصداً إياى وكانت عينيه مملوءة بالحب والحياة حتى اننى نسيت كل حزنى وفى لحظة امتلأت بالفرح والسعادة ونظرت اليه بأفراح القيامة وامتلأ قلبى عذوبة .

ولما اقترب منى قال : « والآن ما هذا ؟ لماذا أنتِ حزينة ؟ ، لا تكتئبى فأنت تعلمى اننى أشعر بحزنك دعيني أقرأ لك التحليل وغطى رأسه بمعطفه وحاللنى من خطاياى .

ثم نظر الى عينيّ بعطف وبسلطان كنظرة الأم الى طفلها ثم قال : أنت حزينة جداً لأنه لم تقولى لى وداعًا ولكن ليس هناك حاجة لأن تقولى ذلك لأنني دائمًا معك ، ثم اختفى بهذه الكيفية .

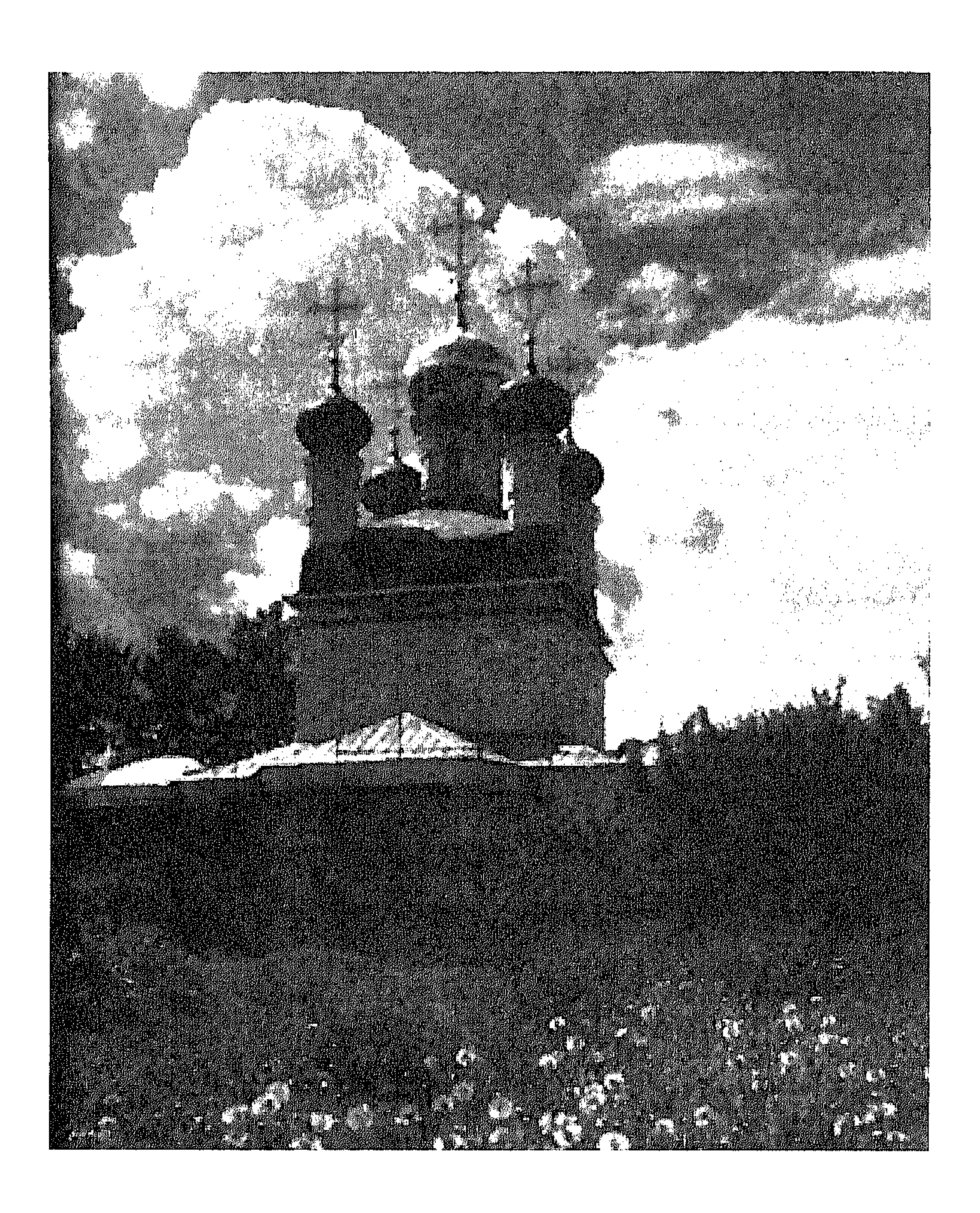
تفاصيل النياح :

ولما وصلت الى موسكو قابلت جريشاتكا لأعرف تفاصيل وفاة الشيخ وجنازته :

لقد توفى الشيخ وهو فى كامل قواه العقلية فى الثانى من يوليو طبقاً للتقويم السابق وفى الخامس عشر من يوليو بالنسبة للتقويم الحالى عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين حوالى الساعة العاشرة صباحاً بعد أن عهد «أئتمن» كل أبناءه الروحيين الى ملكة السماء .

لقد أوصى أن تصلى صلوات الجنازة فى الكنيسة اليونانية ولكن مالكة الأرض خافت أن تأخذه الى هناك ولذلك جسده أُخذ الى كنيسة القيامة الشهيرة فى بريسوفكى لصلاة الجنازة ، وكان أبينا الكبير الذى عانى الكثير الاشمندريت لابس الاسكيم (زوسيما) أحضر الى الكنيسة مرتديًا الاسكيم ووضع الكفن فى المكان الرئيسى أمام الأبواب الملكية (الهيكل الرئيسى) .





الفصل الثامن

ولما سمعت كل هذا شعرت برغبة عظيمة أن أذهب وأصلى منفردة عند قبر الشيخ فذهبت الى المدفن متأخرة لهذا الغرض حتى لا يكون أحد هناك ووقفت أبكى لمدة طويلة حتى ظهرت النجوم فى السماء ثم حل « أقبل » الظلام وحان موعد الرحيل فركعت وقبلّت الأرض حيث يوجد مثواه ثم فجأة سمعت صوتاً ، لم أسمعه عن طريق الأذن ولكن بقلبى ... يقول : « لا تذهبى الى المنزل الآن » ، يا اللّه الرحوم ، ماذا يكون هذا ؟ ربما أكون قد اعتقدت اننى سمعت صوت الشيخ وهو قد علمنا ان لا نثق بقلوبنا ربما يكون هذا من فعل العدو « الشيطان » اننى سوف لا أذهب. وفجأة سمعت صوت الأب زوسيما للمرة الثانية : اذهبى اننى أمرك سوف تجدى الجميع هناك لذلك اذهبى لا تتأخرى ان هذا يعنى اننى يجب أن أذهب لأن الشيخ قد أمرنى لقد تذكرت أسلوب الشيخ فى الأوامر «النصائح » ... ولكن لماذا ترسلنى هكذا متأخر جداً ؟ ومرة ثالثة سمعت صوت الشيخ لا تفكرى لا تضيعى الوقت . سوف تجدى إحدى بناتى الروحيات هناك وسوف تخبرك عن الكثير من الأحداث « المواقف » فى حياتى الشخصية التى أنت تريدين تدوينها لأنك لا تعلمين عنها شيئاً . اذهبى إذاً اننى آمرك اسرعى هيا وبدون تأخير ، سجدت أمام قبر الشيخ ورحلت قاصدة جريشاتكا فى ميدان ترومبن لا أجرؤ أن أفكر فى أى شىء أبعد من ذلك فقط أن أصلى لقد وصلت وماذا وجدت ؟ جريشاتكا تستضيف بعض الزوار ويشربون الشاى .

لقد كانوا يحتلفون بأحد أقارب جريشتاكا المقربين .

كانت إحدى السيدات تجلس بجانب التربيزة « المنضدة » ولما

أتيت وقفت وقال لى : اننى فى مسيس الحاجة اليك ، بالتأكيد أنت تعرفينى لقد تقابلنا عند الشيخ أليس كذلك ؟ لقد تذكرتها ولكننى نسيت اسمها فقالت لى : أنا كاترين اندريفنا لقد أخبرنى الشيخ انك تكتبين قصة حياته ، لقد شاهدت كثيراً جداً من معجزاته لقد أخبرنى الكثير جداً ... اننى لم أنبس كلمة واحدة منها ، اننى أملك ذاكرة قوية لقد تغيّرت حياتى كلها بفضل الشيخ اننى أرجو من كل قبلى أن تأتى عندى وسوف أملى عليكِ كل معجزاته . اننى أسكن بالقرب من هنا وأعطتنى عنوانها .

لقد اندهشت وتأثرت بضغط الشيخ فزرت كاترين العديد من المرات واستقبلتنى ببساطة بود ومحبة ومن صميم قلبها فعندما زرتها فى أول مرة سألتنى فى الحال عما إذا كنت عند قبر الشيخ فأجبتها ما حدث لى عندما زرت قبره فى آخر مرة ولماذا وصلت متأخر جداً عند جريشتاكا متممة أوامره التى كانت غير متوقعة بالنسبة لى . قالت لى كاترين : نعم لقد كان شيخاً عظيماً « جليلاً » هل تعرفين عندما كنت لم أعرف عنه أى شىء ولم أكن أرثوذكسية بعد لقد حلمت حلمًا : كان هناك مجموعة من البشر يتزاحمون داخل الأرض التى أملكها فى مقابر الألمان ماذا يكون هذا؟ لماذا هم متزاحمون هناك فنظرت ورأيت أحد الشيوخ كان واقفًا فى الأرض متزراً الاسكيم وكان الناس يتضرعون اليه برجاء وتوسل مادين أياديهم النحيفة الهزيلة وماذا بعد هذا وخلال فترة وجيزة تعرّفت على الشيخ الاشمندريت لابس الاسكيم زوسيما وبعد وفاته دفن جسده فى أرضى .

وحتى هذا اليوم يأتى الى قبره المرضى والمتضايقين والمتألمين متوسلين ومتضرعين والشيخ يساعدهم .

كل أحـــد حـــسب ايمانه ، والآن دعـــينى أملى عليك : لـم أكن أرثوذكسـية ولكن كنت مـؤمنة باللّه أعيش فى مـوسكو وكنت أذهب الى الكنيسة الأرثوذكسية من وقت لآخر وفى أحد الأيام كنت حزينة فتحادثـت مع كاهن معروف من كنيسة القـديس نيقولاس الذى يدق الجرس الأب الكسندر .

لقـد تكلمت معـه وقرر انه يجـب علىّ أن أتعرف على شـيخ معـيّن يســمـى زوسـيـمـا أو زكـريا اللابس الاسـكيم وهـو راهـب من دير الثالـوث الأقدس والأنبا سـرجيـوس وأما بالنسـبة الى نفسـى لم يكن لى أدنى رغبة فى أن أقـابله فلم أكن أرثوذكـسيـة كـما أخـبرتك . لقـد كنت مـؤمنة ولكننى لـم أتعـمق فى الايمان ولا أعـى شـيـئًـا عن هـذه الطائفـة (الملة الأرثوذكـسيـة) فى ذلك الـوقت حـدثت كـارثة لإحـدى صديقاتى تتمتع بشـخصية متدينة وشـخصية غير عادية وقد شـعرت بالحزن العميق تجاهها فلم أعـد أثق فى صلاتى وقررت قـراراً صـائباً إننى أذهب الى الشيخ كـما نصحنى الأب الكسندر فـإنه يستطيع أن يسـاعدنى حـيث انه رجل عظيم جداً فلمـا وصلت دُعيت الى حـجـرة كبيـرة حيث وجدت الشيخ الرائع لأول مـرة يـرتدى زياً أبيضـاً وبدون أن أطلـب بركـته حـيـيتـه ولكنه لم يرد لى الـتحـيـة . فبـدأت أرتاب فى صـوت مرتعش قلت : أبى سامحنى لأننى أزعجتك إن لـى صـديقة فى كـرب عظيم صلـى لأجلهـا ثم اتخـذت طريقى الـى مـقـعـد « كـرسى» وجلسـت وفى الجانب الآخر من التربيزة « المنضدة » جاء الشـيخ الى مقـعد ولكن لم يعطِ رداً وبصـوت مـرتجف بدأت أشرح مقـدار صـلاح وتقـوى صـديقتـى وكم هـى حـزينـة الآن وفـجـأة بدأت أعـصـابى تفلت ووقـعت على مـقـعـدى وبدأت أتشنج وأبكـى وانفـجـرت فى البكاء ثم

ولأول مرة سمعت صوته يقول : لماذا تصنعين سقفًا للآخرين بينما أنت تسكنى فى مسكن بدون سقف؟ ثم أجبته ان منزلى له سقف اننى لست بدون حجرة ، فردّ الشيخ : لا أنت بدون ولماذا أنت تحتفظين بأيقونة للقديس نيقولاس وأخرى لسيدتنا والدة الإله بينما من المفروض فى كنيستكم أن تؤمنوا بالمصلوب فقط .

لقد اندهشت وتعجبت لمعرفته كل هذا ولكن لم أبدِ له تعجبى بذلك بصورة واضحة فهو لم يرى منزلى أبداً من قبلَ فقلت أنت تفهمنى اننى أحبهم جداً وأنا دائمًا أطرح نفسى أمام القديس نيقولاس صانع المعجزات عندما أكون حزينة أو متضايقة .

آه أنت تحبيهم هل كذلك ؟ حسناً اخبرينى من فضلك سوف أصلى من أجلك الآن ولكن إذا آمنت من الذى سوف يذكرك فى القداسات « يقدم القرابين عنك » هل تملكين صليباً ؟ فقلت نعم .

ما كنه هذا الصليب ؟ من الذى وهبك إياه ؟ فقلت « أنا الذى فعلت » فضحك الأب وكرر الاجابة « أنا الذى فعلت » ثم استدار الى الأيقونة ثم رفع يديه . أما أنا فقد صدمت للتغيّر الذى حدث فى أسلوبه لأنه أصبح كأنه شىء غير أرضى ، سمائى.

فتكلم بهدوء مشيراً للأيقونة بيديه قائلاً : إذا حدث شىء فسوف أصلى من أجلك بحرارة . وبعد هذا نهضت وانحنيت « احترامًا بخفض الرأس قليلاً وقلت أتمنى لك وقتاً طيبًا يا أبى ثم رحلت .

ولما وصلت حيث أسكن ذهبت الى أيقونتى وفى حزن عميق قلت : هذا هو ما قد وصلت اليه لقد تركت الشاطئ ولم أصل حتى البر الآخر .

وانتابنى قلق غير عادى ورعشة طغت علىّ .

وكنت متنكدة لأن كلمات الشيخ مازالت تدوى فى ذاكرتى ولها صدى فى نفسى « سوف يحدث أى شىء » فهرعت الى الكاهن الذى قادنى الى الشيخ وقلت له : أبى اننى لم أعد أحتمل أكثر من هذا اننى أريد أن أكون أرثوذكسية وأخبرته عن زيارتى للشيخ . وكان فى اليوم السابق لدخولى الى الأرثوذكسية اننى بحثت عن الشيخ لأخذ موافقته لهذا التغيير ولم أجده فى السكن وذهبت الى الأشخاص الذين يسكن عندهم فوجدت الشيخ يجلس داخل حجرة صغيرة وقابلنى بودٍ « ترحاب» غير عادى ، لقد أتيت لآخذ مباركتك لى كى أقبل الأرثوذكسية مذهباً لى فأجابنى : « اننى سعيد للغاية (جداً) . وأخذت بركته ثم خرجت الى الممر « المدخل » ولكن الشيخ أسرع ورائى وأخذ رأسى بين يديه وفجأة لاحظت وجود خطوط ذهبية على جبهته مثل أشعة الشمس المضيئة تشع من جبهته وصدغيه ففزعت ، وفى نفس الوقت شعرت باستضاءة مدهشة فى قلبى وحتى عندما نزلت الى الشارع وأثناء سيرى فكرت هل يوجد أناس أسرار فى العالم ؟ وبدا لى كأن كل شخص يغبط بالفرح مثلى تمامًا وشعرت بالنعمة « البركة » التى أُعطيت لى بواسطة الشيخ لم يسبق لى أن شعرت بمثل هذا الفرح السماوى « غير أرضى » سلام وراحة لقد كان هذا من مراحم اللّه التى حصلت عليها بفضل صلوات الشيخ .

معجزة أخرى :

وفى إحدى أزقة « دروب – عطفة » ميدان تريمت المسمى بـ « برنترز » تعيش أرملة تسمى انا بيتروفنا وحدث أن أختها قد سقطت نتيجة للإهمال وانكسرت جمجمتها ولذا فكان عليهم استدعاء

الاسعاف وبعد تضميد رأسها أعلن الدكتور انه يجب عليها أن تخلد للراحة التامة ولكن إذا حدث « تقيأت » فلن يجديها أى علاج فهى سوف تموت فمكثت طوال الليل تصلى الى اللّه وتناديه قائلة : يا اللّه ساعدنا « انقذنا » ارسل الأب زوسيما ليشفى أختى بصلاته وبدأت أختها تتقيأ وفى الصباح كان هناك زوبعة جليدية « صقيع شديد » فأرسل الشيخ فى استدعاء سائق العربة قائلاً اننى ذاهب حالاً « سوف أرحل حالاً » فأجابه « الى أين تفكر فى الذهاب يا أبى فى هذا الجليد القارس » ومن الذى سوف يسمح لك بالذهاب ؟ ولكن كان الأب مصراً ولما وصلوا الى عطفة برينترز فتحت (أَنَاَ بيتروفنا) الباب وهى شاحبة اللون ومنهوكة القوى وقالت: « اننى لم أكن أتوقع أن تكون أنت يا أبى « لماذا أتيت فى مثل هذه العواصف الثلجية الشديدة » كم أنا سعيدة فأجابها القديس « أنت لم تتوقعى أن آتى هناك ؟ إذاً لماذا أزعجتينى الليل كله اذهبى بى الى مريضتك بسرعة ، ثم صعدوا حيث توجد الإمرأة تحتضر ووضع يده على رأسها وصلى لفترة طويلة من الزمن وبعد فترة وجيزة كانت المرأة المريضة التى كانت تضع أربطة حول رأسها تشرب الشاى معهم وحالاً رجعت الى صحتها .

معجزة أخرى :

امرأة أخرى كانت تحب صديقة لها جداً وعندما علمت أنها مرضت مرضاً ميئوس منه وانه سوف يبتر لها ساقها فذهبت الى الشيخ وضربت على المائدة بقبضة يدها وقالت: صلى من أجل صديقتى حتى تبرأ قدمها ولا تحتاج للذهاب الى المستشفى . ولكن الشيخ لم يغضب من أسلوبها فى الكلام ولكنه أجابها : « ليكن لك

حسب ايمانك » وعندما زارت صديقتها بعد فترة وجيزة دهشت عندما علمت ان صديقتها لم تذهب الى المستشفى وان ساقها قد برئت « شفت تمامًا »وقد اندهش الأطباء المكلفين بمعالجتها على هذا الشفاء .

ذات يوم عندما كان الأب يقوم بخدمة فى الكنيسة «خدمة الصلاة » كان كل شخص يأتى اليه ويقبّل الصليب ولكن امرأة نظرت اليه بسخرية ولم تقترب منه فذهب الأب اليها وسألها : لماذا لم تقبّلى الصليب فردت عليه بوابل من الشتائم فأهانته بكونه كاهناً وتطاولت أيضًا على المقدسات بألفاظ لا تليق وكان الأب يستمع اليها بصبر وعندما فرغت من حديثها ولم يبق لها ما تقوله سألها : هل لديك شيء آخر تقوليه؟ ولكننى الآن سوف أقول لك اننى سوف لا أدينك بسبب اهانتك لى ولن أدينك أيضًا بسبب انه بالرغم من انك غير متزوجة فأنت قد أنجبت طفلاً ، ولكن كيف تجسرى أن لا تعمديه بالرغم من أنك قد تعمدت ؟ فشحب وجهها فى الحال وقالت : كيف علمت كل هذا ؟ فأجاب الأب « اننى حزين من أجلك انك سوف تهلكى وكان هذا سببًا فى ندمها وتوبتها وعندما علمت ان الأب زوسيما قد مرض مرضاً خطيراً فشعرت بأسف شديد عليه فعزمت على الذهاب اليه والصلاة من أجله .
وتقول أيضًا : والأكثر من هذا فقد حدث اننى أخذت معى كتاب صلوات « الكاسثيت » الخاص بالقديس نيقولاس صانع المعجزات وصلوات أخرى للمخلص التى أحبها كثيراً جداً وقررت أن أقرأها بصوت عالٍ من أجل الشيخ كى يشفى من المرض فوضعت كتاب الصلوات ، الأكاسثيت فى جيبى ورحلت ولكن عندما وصلت الى الشيخ فترت همتى ولم أجرؤ على أن أقرأ فصعدت حيث يسكن

الأب والتمست بركته وجلست بكل خشوع على كرسى ولكن الشيخ سألنى فى الحال : « ما الذى وضعتيه فى جيبك » اخرجيه واقرأى لى بصوتٍ عال أمام الأيقونات . فأجبت انها الكاستثيت الخاصة بالقديس نيقولاس فأجاب حسناً «إركعى واقرأى » وبعد أن قرأت فى الاكاستثيت قال لى الشيخ « حسناً ماذا يوجد أيضًا فى جيبك ؟ اقرأى منه وصلى لأجلى » . فأخرجت كتاب الصلوات الخاص بالمخلص وقرأت منه « وصليت منه » وبعد ان انتهيت قال لى حسنا انظرى الى لقد تحسنت تمامًا بحسب ايمانك لنشرب الشاى معاً فقام من فراش مرضه معافاً كما لو لم يكن مريضًا بمرض خطير من قبل .

لقد شاهدت معجزات كثيرة عملها الشيخ وسوف أقوم بسردها .

فى أثناء العيد العظيم « عيد القيامة » كنت أمر بضائقة مالية فلم يكن معى روبيل واحد وكنت أريد أن أستقبل الكاهن « أستضيف » وأقدم له عطية صغيرة ولكننى لم أكن أملك شيئاً فحتى لو كان معى ثلاثة روبيلات ولكن لا يوجد من يقرضنى هذا المقدار فذهبت متحسّرة الى الشيخ ولم يكن عندى الشجاعة الكافية لأخبره مقدار عوزى «فقرى » ولكن الأب سألنى أكثر من مرة « ماذا بك ؟ » ولكننى كنت أجيبه بلا شىء وبذلك تركته ومضيت وعندما ذهبت الى منزلى قيل لى : لقد جاءت امرأة تطلب رؤيتك وكانت تخفى وجهها تماماً وطلبت أن يعطى هذا الطرد لك وعندما سألناها من الذى أرسله أجابتنا ان ذلك ليس من شأنكم وعندما فتحت الطرد وجدت بها ثلاثة روبيلات مع بلوزة من الحرير وكان ذلك بفضل صلوات أبى ان اللّه استجاب له وأرسل لى تعزية وحقق رغبتى فى

الحصـول على ثلاثة روبيلات أمـا البلوزة الحرير فكانت مناسـبة لى تماماً .

ذات يوم حـدث أن إحـدى بنات الأب الروحـيين كـانت تمدح بشـدة شخصًا غير مؤمن فأجابها الشيخ أى صلاح يكون فى مثل هذا الشخص الذى ينكر وجود الله فإذا اعـتقـدت انه شخص صالح فعليك حـمل « احتمال » صليب جهله وانكاره لوجود الله .

وان تفعلى كل ما فـى وسعك من أجل أن يرجع الى نفسه ويعود الى الله .

ولكن على أى حال لا تمدحينه .

ذات يوم دعى الشـيخ الى دير جـولوفينكى ليقـوم بخـدمة صـلاة من أجل المطر وكـان رئيس دير اسباسـوبيكوفسكى كـان يخدم مـعه وأثناء الصـلاة بدأت تظهر السـحب ثم تدريجيًا ظهرت بكثافة وعلى بعد منخفض حتى ان رئيس الدير قال للأب زوسيما بسرعة يا أبى ان المطر سـوف يسـقط حـالاً ولكن الشـيخ قال : لا تـتعـجل الصـلاة فعندمـا ينتهى كـل شـىء سـوف يسقط المطر ولكنـها لـم تنتـهى بعـد وعندمـا أنجزوا « أتموا الخـدمة المقـدسة » « الصـلاة » من أجل المطر دون تعـجل « دون اسراع » ذهب الأب الى الرواق « المدخل الدهليـز » ورفع يديـه وقـال الآن تسـتـطيع أن تأتوا وفـى الحـال انسكـب المطر بغزارة وبلل الأرض بكثرة .

ان فـيلاريت الـذى من موسكو الـذى يحترمـه جداً والتـى يحتـرم ويوقر من أجل حياته المقدسة ذات يوم مرضت إحدى بناته الروحيات مرضـًا خطيراً وأعلن الأطبـاء ان الموت لا مفـرّ منه « ان موتهـا وشيك الحدوث » وكانت المرأة البائسة تحتضر ولكن أقاربها ترجو الشـيخ أن

يقوم بزيارتها لآخر مرة فصلى الأب زوسيما وأخذ صورة للمطران فيلاريت وقال الأب زوسيما اننى لست أنا الذى سوف أشفيها ولكن المطران هو الذى سوف يذهب ويشفيها واستعد ثم رحل وكان للمرأة المريضة ابناً يعتبر غير طبيعى كلياً وكان شخص غريب الأطوار واُعتيد أن يطلق على أمثال هؤلاء بلهاء « أغبياء » وبمجرد أن اقترب الشيخ من المنزل فجأة قال هذا الابن الغير طبيعى لوالدته : « يا أمى ان المطران فيلاريت قادم الينا بنفسه » هل جننت يا ابنى المسكين أجابته والدته .

وبعدها بدقائق دخل الشيخ حيث توجد الصالة «الدهليز» فاندفع الأبله ليأخذ المعطف الفرو قائلاً : من فضلك يا أبى اسمح لى أن أخذ معطفك وكانت الأم المحتضرة تستمع لكلام ابنها وهى فى خجل .

ثم دخل الشيخ الى الحجرة ثم قال « خذوا بركة ولكن ليس منى بل من المطران فيلاريت فهو قد أتى بنفسه كيما تشفى ، كى يهبك الشفاء » ثم تركها تلمس صورة المطران.

فأجابت السيدة : معنى هذا ان ابنى كان على حق حينما قال أن المطران آتياً لزيارتنا . فأجابها : نعم كان على حق فلقد كشف له الروح القدوس عن هذه الحقيقة له .

حسناً انهضى الآن وأعدى شاى لكل منا .

كيف أستطيع أنا ؟ لا أستطيع أن أغيّر وضعى وأنا فى مكانى هكذا أجابته .

فردّ عليها قائلاً : لقد كنت لا تستطيعين ولكنك الآن تستطيعين وكم كانت دهشتها !!.

شـعرت المرأة بتـحسـن تام « صحـة جيـدة » ثم بدأت فى أعـمالـهـا المنزليـة فـذهل أقاربـهـا ولكن الشـيخ قـال: « لماذا أنتم متـعـجبـون ؟ » بالتأكـيد أنتم تعرفـون المطران فيلاريت يـسـتطيع أن يعمل المعـجزات وأنتم الآن شـهـود لإحدى هذه المعجزات .

والدتكم كانت على حافـة الموت ولكنها الآن أكثر صـحة «اسـتعادت صـحتـهـا » أكثر مـن أى أحد فيكم يتمـجد اللّه فى قديسيـه » المجد للّه فى قديسيه » .

كـان الشـيخ دائمـًا يـصـلـى من أجل أن يسـتـريح « يـتـنيح» المطران فـيلاريـت ويوصـى أبناءه دائمـًا أن يـذكـروا هـذا المدبر العظـيم والمعلم للأرثوذكسـية .

ذات يوم حضـر كاهن الى الشـيخ وكان حـزينـاً جداً لقـد انزلق فى هـوة سـحيقة من الغـضب والانفعالات النفسية البغيضة ونسـى تماماً الهدف من وجودنا على الأرض وقد كانت كـلماته وحركاته تترك أثراً كريهاً فى النفوس .

إحدى بناته الروحيات وقد حضـرت فى وجود الكاهن الضـال فقال لها الشيخ وهـو مـقـتضـب : كاترين ولـو انه يشبه التـماسـيح وله أنف تشبه مثيلتها فى الخنازير ولكنه يمثل كرامة الكهنوت لذلك يحب أن تأخـذى بركـته وبـهـذه الطريـقة قـد كـشف عن مكنونات وخـبـايا ذلك الكاهن أمـام جـمـيع الحـاضـرين ولـكنه جـعل ابنتـه الروحية تشـعـر بالاتضـاع موضـحاً لهـا « موجـهاً » نظـرهـا الـى الفائـدة العظيمـة « الهبة » من أخذ بركـة الكهنوت ان ما فعله الشيخ من كشف خـبيئة الكاهن لـم « يذهـب » هباءً فلقـد اعترف ذلك الكاهـن الضـال « التائه » بتـوبة صـادقـة « حـارة » حيث انه داس الكـهنوت « بتـجـاهـله كـرامـة

الكهنوت » بسبب خطاياه وبصلوات الشيخ فقد انكسر فخ « شرك» الخطايا التى انزلق فيها وبدا كأنه كما لو كان قد وُلد من جديد .

من تعاليمه :

يوجد ديان واحد هو الله الذى يعلم كل شيء ويعرف كل أحد لذلك يا أبنائى لا تأخذوا مكان الله وتدينوا خلائقه لأن الله وهو جالس فى عرش مجده يعرف خفايا القلوب.

لا تدينوا أبداً اننى أرتعد عندما أعرف أن أحد أبنائى الروحيين يجرؤ « يجسر » أن يفعل هذا .

مرة أخرى أكرر لا تحسدوا « لا تغيروا » من أحد فمن يدين يدين الله ذاته تسألوا لماذا لم تأخذوا نعمة « بركة » بينما أعطى الله أحد جيرانكم ؟ هل عرفتم مقدار خطورة خطيئة الحسد تذكروا ان الانسان الذى يدين أو يحسد لا يملك الروح القدوس على قلبه « لا يسكن الروح القدوس فى قلبه » . « فإن الانسان الذى يدين لا يملك أدنى درجة من التواضع » وبدون الاتضاع لا يوجد خلاص .

فى الشهور الأخيرة من حياته أمضى الشيخ معظم أوقاته فى الفراش وكان نادراً ما يتكلم واذا لم يقل شيئاً كان ذلك لفائدة النفوس . « لا تنسوا أول وصية فى الانجيل فهي تدعونا الى التوبة « توبوا وآمنوا بالانجيل هذه هى كلمات الله نفسه (مرقس ١ : ١٥) . اكتسبوا الفضائل التى هى عكس الخطايا .

لا تسقطوا فى اليأس « الاحباط » نتيجة لأى موقف أو تحت أى ظرف « حال » ان الاحباط « اليأس » يشنق ، يبدد ، يهدر » الطاقة اللازمة « الجاذبة » للروح القدس الى قلب الانسان .

فالشخص اليائس « المحبط » يفقد القدرة على الصلاة ويكون خاملاً حتى ان الأعمال الروحية لا تهمه « لا تشغله » .

وكان الشيخ يمر بظروف مرضية مريعة « رهيبة » حتى ان أى شخص آخر فى ظروفه كان يصرخ من الألم ويشتكى بدون توقف ولكن زكريا رغم معاناته فى المرض يقدم شكره الى اللّه على كل من يهبه إياه وبدا وجه الشيخ كمثل صور الأيقونات « كما لو كان أيقونة مرسومة » لقد كان من الواضح انه قد استغرق تمامًا فى صلوات عميقة داخلية « سرية » وكان يتصرف « يتعامل » بمحبة واهتمام « كمثل الأم » مع أولئك الذى أتوا اليه .

وكان يبدو كما لو كان لا يعانى من أى مرض جسدى على الاطلاق وكانت روحه تحوط حول كل أحد بكل مشاعر الحب الألهى ناسياً نفسه تماماً .

ذات يوم قام الشيخ من فراشه وبالكاد وقف ثم ذهب حيث توجد الأيقونات وباحترام وتوقير خاص رشم ذاته بعلامة الصليب ثم استدار الينا ثم قال : **دائمًا ارشموا ذاتكم بعلامة الصليب واعلموا انه عندما يرفع الصليب فإن قوات الظلمة الموجودة فى الهواء تسقط .**

نشكرك يا الله فقد أعطيتنا صليبك « جعلت صليبك » سلاحًا به نهزم الشيطان . للأسف قد شاهدت بعض الناس يحركون أيدهم بدون أن يلمسوا جبهتهم ولا أكتافهم ان هذه سخرية تامة بعلامة الصليب .

لقد تألمت كثيراً عندما رأيت ان الكثيرين يقولون هذه الصلاة بطريقة ميكانيكية انها ليست صلاة ولكنها يجب أن يبدأ بها المصلي صلاته فلا تماثلوا أمثال هؤلاء ، فهذه خطية.

لا يوجد شىء على الأرض أهم من عمل الصلاة على الاطلاق . ان الصلاة تلد الفضائل بكل بساطة أريد أن أخبركم الكثير ولكننى لا أملك القوة على ذلك وبالكاد وصل الشيخ الى الفراش وعندما رقد كان يبدو كما لو كان قد مات فانفجرت إحدانا فى البكاء كان من الواضح انه من الصعوبة عليه أن يتكلم ولكنه تكلم حتى يعزينا .

عظة ساعة موته عن ما بعد الموت :

يا أبنائى بعد الموت سوف أكون نشيطًا أكثر مما عليه الآن لذلك لا تحزنوا عندما أموت احذروا من الحزن الشديد فمن الممكن أن يقودنا الى الاحباط تذكروا أن عليكم أن تجتهدوا في امتلاك الروح القدوس ومحبتكم للمخلص ربنا يسوع المسيح .

واجتهدوا أن تكملوا « تتمموا » وصاياه برعدة وخشية ووقار .

اسجدوا أمام الله الآب بمهابة وباتضاع كبير « شديد » وبهذا يمتلىء قلبى بالفرح .

وأخيراً أنا أبيكم الروحى أنصحكم « آمركم » بأن تجتهدوا فى أن تحققوا هذا وفى صمت بارك الشيخ الجميع ثم أغمض عينيه ثم سجد الى أسفل ثم خرجنا وتفرقنا .

ذات يوم عندما لم يعد الشيخ يستطيع مغادرة الفراش زارته إحدى بناته الروحيات التى انقطعت عن زيارته لفترة طويلة وقد شعرت بالحزن عندما رأته كما هو مريض بهذا المرض الخطير ولكنها لم تتحقق ان الشيخ قريباً من الموت وبدأت تسأل متى سوف يتحسن حتى إذا شفى يقوم بزيارتها فابتسم الشيخ بحزن ثم قال لها : لاتحزنى اننى سوف أرحل عاجلاً وأزورك فى منزلك « شقتك »

وسوف تخرجى ثم تريننى الى أن أذهب الى مسكنى فقالت . كيف أعلم ؟ ، متى ترحل ؟ من الذى سوف ترسله الىّ حتى أخرج لأستقبالك ؟ فرد عليها « سوف تشعرين بنفسك» .

فتوقفت المرأة عن مناشدته لزيارتها ولم تجرؤ على الاستفسار أكثر من هذا .

ثم قامت خشية أن تزعجه بمحادثتها وانحنت وأخذت بركته ثم غادرت .

وفى ذات يوم بينها كانت تنظف « تغسل » أرضية منزلها «شقتها » فجأة أحاطت بها رائحة زكية كما لو كانت مجموعة من الزهور ذات رائحة عطرة حملت الى منزلها فتساءلت فى نفسها عما يكون ؟ اننى لم أشتم أبداً مثل هذه الرائحة الرائعة .

يا الهى من أين تأتى هذه الرائحة ؟ ما الذى يحدث ؟ ثم خرجت الى النافذة فرأت موكب جنازة وفى الحال خرجت الى الشارع وسألت عمن سوف يدفن ؟ وعندما علمت كان قلبها يعتصر ألماً وهى تتذكر ها هو أبينا يرحل من شقتى كما أخبرنى وجعلنى أعلم بذلك عن طريق هذه الرائحة العطرة .

ثم ذهبت مرافقة له الى القبر وهى متذكرة كلماته «سوف تأتى وتريننى حتى أمضى الى مسكنى » .

هناك الكثير من المعجزات التى تمت على يد الشيخ أثناء وجوده بالجسد وأيضًا بعد رحيله ولكننى لم أسجلها بعد ولكننى سوف أدوّنها « أقدمها » فى أى طبعة لاحقة «اضافية » لقصة حياته بعون الله وسوف أقوم بزيارة أشخاص آخرين وأكتب كل المعجزات التى

حدثت بدقة ثم أراجع الذين أعرفهم ثم أقوم بتدوينهم « وضعهم » حتى أستطيع التأكد عن صحة ما كتب . **كثيراً ما يظهر الشيخ فى الأحلام لأبنائه الروحيين . يحذر البعض من كل الأخطار ويعطى بركة فى صورة أعمال بر ويمنع الآخرين من تنفيذ أشياء عقدوا العزم عليها « ليس من صالحهم عملها » وبهذه الطريقة فنحن أبناءه الروحيين مازلنا نعيش فى ارشاده.**

ان الأب زكريا « زوسيما » جاهد فى أن ينقلنا « يلهمنا » بالحب العميق تجاه الثالوث الأقدس فى العبادة الأرثوذكسية فى الصلاة وفى الحياة فقد قال لنا:

أيها الاخوة لماذا نحن نذكر فى صلواتنا الأب والابن والروح القدس . فنحن نصلى اليهم فى كل خدمة إلهية « روحية » من الصعوبة ان توجد صلاة تخلو من ذكرهم لماذا هذا ؟ لأن الآب والابن والروح القدوس هو يكون إلهنا فلماذا نحن لا ندعوه ببساطة الله ولكن الآب والابن والروح القدس ؟ فمثلاً اليهود وغيرهم يؤمنون ببساطة بالله وأيضاً بالله الواحد ولكنهم لا يعرفون ان الله هو الآب والابن والروح القدوس ولكننا نحن فقط المسيحيون الذين نعبد الله بالحقيقة والايمان المسيحى الحقيقى يخلو« معصوم » من الخطأ فغير ذلك يكون ايمان مزيّف . ولكنها « أي المسيحية» تعلمنا أن نؤمن بإله واحد الآب والابن والروح القدوس . ولكن لماذا من الضروري أن نعرف هذا ان الله هو الآب والابن والروح القدوس ؟ هو واحد فى ثلاثة ؟ لأنه إذا لم نعرف ان الله واحد بل ثلاثة فلن نعرف مقدار محبة الله لنا ولن نعرف ان الله بذل ابنه الوحيد فادينا ومخلصنا ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية .

ولن تعرف « تفهم » ان لنا مخلص وهو ابن الله الذى نزل من أجلنا نزل من السماء لكى يخلصنا تجسد وتألم ومات على الصليب ثم قام من الأموات وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب ولن نعرف « نتعرف » على الروح القدوس الذى يعيش فينا ليقدسنا ويعلمنا ويطهرنا باختصار « بايجاز » إذا آمنا أن الله واحد ولم نؤمن بأنه مثلث الأقانيم نكون غير مسيحيين .

فالله الواحد ظهر لموسى فوق جبل سيناء وعن طريقه « أى موسى » وضع « الله » الناموس . فإلهنا الله واحد وهو أيضًا الذى ظهر فى الأردن فى ثلاثة أقانيم . ولماذا أمر الرب تلاميذه أن يعلموا كل أحد عندما أرسلهم ليكرزوا . قال يسوع يجب أن يؤمنوا باسم الآب والابن والروح القدوس وبذلك تكون حقيقة ان الله هو الآب والابن والروح القدوس هى خلاصة الايمان المسيحى « التعاليم المسيحية » ورمز مختصر لإيماننا .

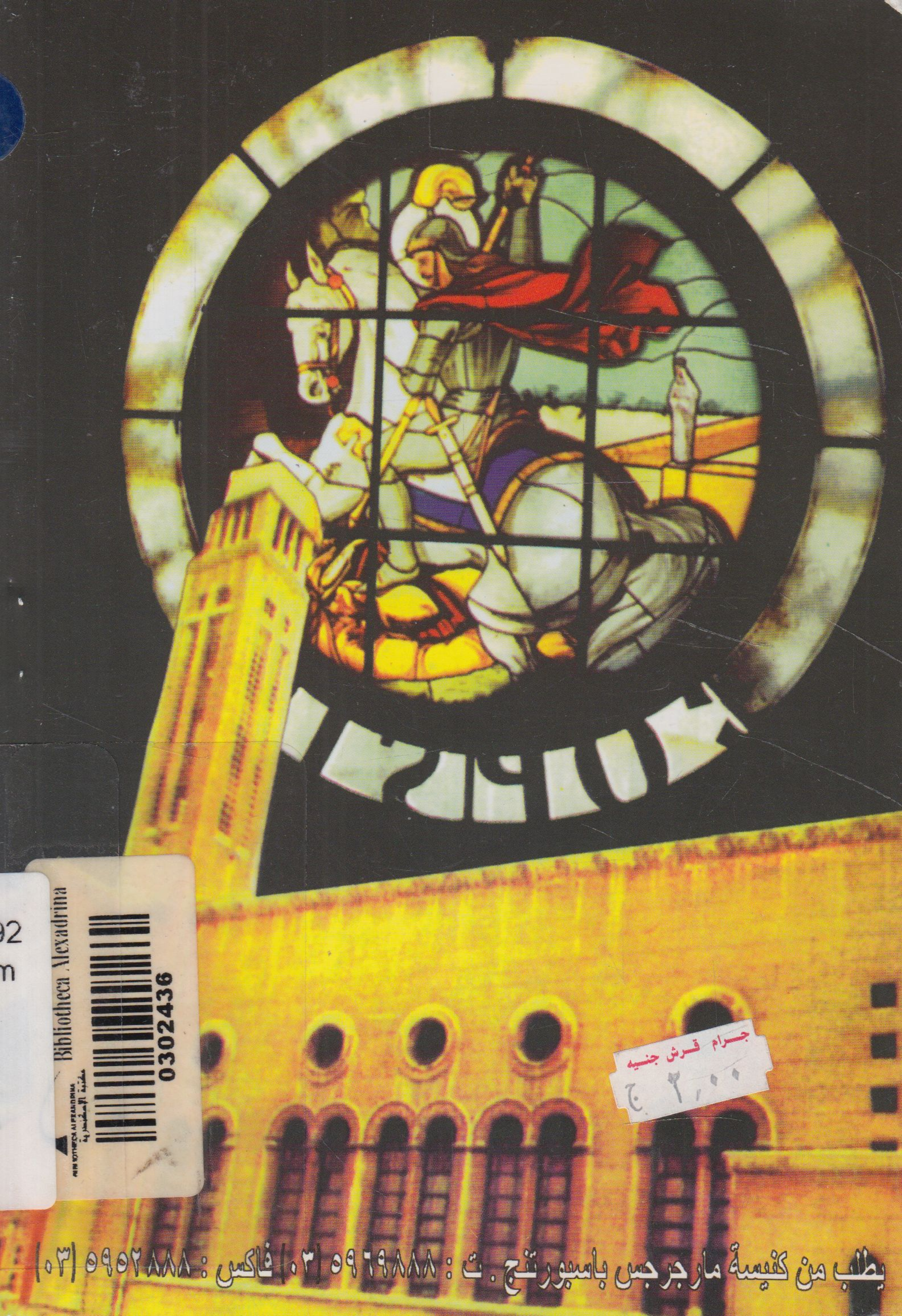
والتعليم الذى لا يبنى على الايمان بالآب والابن والروح القدوس فهو ايمان غير مسيحى ليس ايمان بالخلاص ولا ايمان بالنعمة والمجد .

كل انسان يؤمن بالله بدرجات متفاوتة .

بدون الايمان من المستحيل أن يخلص أحد ولا يمكن ارضاء الله .

أنت تعلم انه عندما تقبل الآب والابن والروح القدوس لخلاصك فإن الله الآب « يقبل اليك » بكل الحب والله الكلمة « الابن » يتشفع لأجلك بكل استحقاق والروح القدوس يعمل من خلالك بكل حياة ويجدد قوتك .





يطلب من كنيسة مارجرجس باسبورتنج . ت : ٥٩٦٩٨٨٨ (٠٣) فاكس : ٥٩٥٢٨٨٨ (٠٣)